

ويولان تذكرة الغافل

عن

استحضار المالك

الموسوم

بالمعارضات الزينية على المنظومات الهلالية

جمعه

محمد بن العربي الجبلي الحمصي

الدار السامية

بيروت

دار القلم

دمشق

طَبَعَةُ دَارِ الْقَلَمِ الْأُولَى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة

دَارُ الْقَلَمِ

للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٢٩١٧٧

الدائرة السابعة

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

لعل من المفارقات الباعثة على الدهشة أن نعود إلى إعادة نشر كتاب يقوم نصفه تماماً على تمجيد المآكل وتزيينها، والدعوة إلى الإقبال عليها والإكثار منها بلا قصد أو اعتدال، في الوقت الذي ينصح فيه الأطباء باتباع سبل الحمية، وبالإقلال من الطعام، وبالابتعاد عمّا يورث الهلاك منه انطلاقاً من قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ومن القول المأثور: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء».

وإنما أردنا من عملنا هذا إحياء تراث أدبي طريف عاشته مدينتي (حمص) وجارتها (حماة) في فترة لا بأس بها من القرن الماضي، ضئلاً بهذا التراث أن يندثر، وتذكيراً بنمط معيّن من أنماط المساجلات الشعرية شغلت الناس آنذاك، وكانت مجال أنسهم وتفكّهم في وقت لم تكن فيه وسائل التسلية والترفيه قد انتشرت وغطت على نحو ما نراه في أيامنا الحاضرة.

الحديث عن «ديوان تذكرة الغافل عن استحضار المآكل» وهو المشهور بـ«المعارضات الزينية على المنظومات الهلالية»، وقد نفذت من المكتبات كافة أعداد الطبعة الثالثة التي قامت بنشرها مكتبة «عنوان النجاح» في مدينة (حماة) منذ ثلاث وستين سنة، وأصبح من العسير جداً على الراغب أن يظفر بنسخة من نسخ هذا الكتاب، وبات لزاماً على مشفق على تراث بلده أن يبادر إلى نشره مجدداً في طبعة رابعة محققة ومعتنى بإخراجها.

يضم الديوان مجموعة معارضات طريفة نظمها شاعران رقيقان، أحدهما حموي هو الشيخ محمد الهلالي، والآخر حمصي هو الشيخ مصطفى زيد الدين.

وكان من شأن هذين الشاعرين أنه إذا نظم الأول قصيدة في المدح أو الغزل سارع الثاني إلى معارضتها بقصيدة من وزنها وقافيتها، ولكن في موضوع المآكل وصفاً ومدحاً وتغزلاً، مع قصدٍ إلى الفكاهة والدعابة، فكان أن عزز هذا من تنافس قائم أصلاً بين أهل المدينتين، وعمق ما كان بينهما من تنافر وتجادب. ثم كأن أن شاعت هذه المعارضات وطار صيتها حتى تجاوزت حدود المدينتين وسافرت إلى كثير من البلدان العربية.

لقد أقدمنا على إعادة نشر هذا الكتاب مع علمنا بما يشيع فيه من أغلاط لغوية ونحوية وإملائية. وعروضية أيضاً، رغبة منا في التزام الأمانة العلمية في النقل والنشر، وقد كان بالإمكان أن ندفع بالكتاب إلى من نعرف من أهل البصر باللغة والشعر ليقوم بإصلاح الفاسد وتقويم المعوج، ولكننا آثرنا أن نقدّمه كما صدر عن فارسين الشيوخين الهلالي وزين الدين، ثقة منّا في ذكاء القارئ وحسن تبيّنه لمواضع الصواب، مع تأكّداً من أن كل ما وقع فيه من أغلاط إنما كان بسبب غياب التدقيق أثناء الطبعة الأولى حتى اختلط الصحيح بالفاسد، وغاب وجه الصواب في كثير من المواضع.

والديوان — كما سيرى القارئ العزيز — صورة لحقبة خاصة من الحياة الأدبية في مدينتي حمص وحماة، ومعارضات الشيخ الحمصي بخاصة غرض متميّز من الأغراض الشعرية الأمر الذي أعطاه أهمية خاصة، وأقنعنا بأن إعادة طبعه ونشره فيه خدمة حقيقية للأدب والتراث.

وفي الختام نتقدم بوافر الشكر والامتنان لكل من شجعنا على إخراج هذا الكتاب وتحقيقه، راجين أن يجد القارئ فيه ما ينشده من متعة وتفكّهة، وأن ينظر إليه على أنه أثر من الآثار الطريفة كان له دويّ في الزمن الذي أنشئ فيه. والله من وراء القصد.

«الناشر»

ترجمة الشيخ الشاعر

مصطفى زين الدين الحمصي

هو الشيخ مصطفى زين الدين من أهالي مدينة حمص، وُلد فيها عام ١٨٢٦م وقرأ على علمائها، فظهر ذكاؤه ونبوغه، وقرأ كثيراً من كتب الأدب والتاريخ، وطالع أكثر دواوين الشعراء وأقوال البلغاء. وقد وهبه الله الصوت الجميل، فأولع بالموسيقى، وبرع في أدائها. وأحبه أعيان البلدة وأكابرها، فكان سمير العلماء ونديم الشعراء وله نظم لا يخلو من جودة.

وما ورد عنه من وصفٍ للمآكل إنما كان يأتي به على سبيل التفكه والمداعبة، لأنه كان رحمه الله سامراً نديماً حافظاً، إذا جالسك حباك من نكاته وملحه، وطرائفه وأخباره ما يعجبك ويطربك.

وقد اشتهر بمعارضاته لمعاصره الشاعر الهلالي الحموي المتوفى في دمشق عام ١٨٩٤م، وكان كلما نظم الهلالي قصيدة أو موشحاً في مدح أحد الولاة أو أكابر القوم، عارضه الشيخ مصطفى بقصيدة من نفس البحر والقافية، متغزلاً فيها بالمآكل وطيبها، حتى عُرف بالجوعان. وكانت المآكل التي يتغزل بها الشيخ مصطفى هي مآكل الأغنياء التي تحوي أنواع الكعب والمحاشي ولحوم الضان وأنواع الحلويات الفاخرة، ولا يذكر مآكل الفقراء.

وكانت تلك القصائد والمعارضات الشعرية تنتشر بسرعة متجاوزة الحدود الإقليمية إلى الأقطار العربية الأخرى. وقد فوجيء الشيخ مصطفى حين زار القاهرة، بانتشار معارضته مع الشاعر الهلالي هناك، وأنها كانت حديث الناس في مصر.

ومن ذلك قصيدة نظمها «الهلامي» في مدح الشيخ خالد الأتاسي مفتي حمص، الأسبق مطلعها:

بصفا قدومك طابت الأوقات وبراح لطفك غنت الكاسات
فعارضها الشيخ مصطفى زين الدين بقصيدة مطلعها:

من لحم ضأن نُوعت أكلات فالهبر منه طابت الكُبات .
ومنها قصيدة للهلامي في مديح محمد بك البارودي، قال فيها:

وردت أماني البشر بالأحباب فشدت بلابل ألسن الترحاب
لله بارودي عزم صادر عن بحر علم بالوفا عباب
سبحان من أولاه ما هو أهله وحباه أرفع رتبة وجناب
يا كعبة الجود الذي من جلق لبلادنا سارت مسير سحاب

فعارضه الشيخ مصطفى بقصيدة جاء فيها:

وردت صحون الرز للأحباب والنار قد ضرمت لشيّ كباب
لله خاروف أتى في دسته يحكيه ذو القرنين بالألقاب
سبحان من أعطاه بعد الهزل سمناً حيث ليته كقطعة باب
يا كبة دقت بخالص هبرة بالجرن في أيدي من الأخشاب

ومن القدود التي نظمها الهلامي:

عني لووا قلبي كووا عزاً حووا وعلى العرش من الحسن استووا
فعارضه الشيخ مصطفى بقوله:

لحمأ شووا خبزأ طووا بيضأ قلووا وعلى السمن القبوات استووا

وكانت الكبة من أكثر الأكلات التي تغزّل بها الشيخ مصطفى زين الدين:

ما العشق إلا أن تهيم بكبة حمراء تُهدى لا بذات حجال

وقال:

ياما أحيلى الكبّة المشويّة لو عوضت عن شحمها بالليّة
وكان أيضاً يحب كثيراً ورق العنب المحشي أو (البيرق)، وأكثر من ذكره
في معارضاته، في حين كان يكره اللفت والجزر والملفوف.

وطبّاخنا أهدي لنا ابن كرمة هو البيرق الذاكي الجدود أو الجدا
وأبعد عنا اللفت والجزر الذي أتى النهي من بقراط عنه كمن يدري
ولا سيما الملفوف من يورث الأذى ويفتح بالتنفيس زمامة الدبر.

وذكر الكنافة بأنواعها البصما والمبرومة وغيرها فقال:

يا صدر بصما كم برزت لِحْرَبِهِ وغدوت غمر عجاجه أتقحم
أنت الذي بالجبن جئت محمراً بالسمن لا يحكي احمرارك عندم
وتعرّف عليه الشيخ الشاعر أبو النصر اليافي في أوائل شبابه، واتخذه رفيقاً،
وكان يلحّن القصائد التي ينظمها أستاذه، وينشدّها بصوته الساحر الشجي، فيبكي
السامعين ويطربهم، ويحلّق بهم إلى الأجواء العلوية.

ورحل الشيخ مصطفى إلى الأستانة بصحبة أستاذه اليافي، حيث نزلا
مكرّمين عند عبد الله باشا أحد وزراء السلطان عبد العزيز. وهناك تعرّف على كبار
رجال الدولة. فانتظمت أموره المادية بما أغدق عليه من منح وهدايا كثيرة، ثم
عاد بعدئذٍ إلى بلده حمص.

ومن ذرية الشيخ مصطفى الذين باهت بهم مدينة حمص سائر المدن العربية
بجمال الصوت ابنه العبقري المغني والبلبل الغرّيد الموسيقي الكبير المرحوم
نجيب زين الدين.

وأدركت المنية الشيخ مصطفى زين الدين سنة ١٩٠٠م، وجرت له جنازة
حافلة، رثاه فيها الشعراء والعلماء. وفي طليعتهم مفتي حمص الأسبق المرحوم
الشيخ خالد الأتاسي الذي أرّخ موت الشيخ مصطفى قائلاً، وقد رَقَمَ على القبر:

هذا الضريح لمصطفى
من لابن زين الدين يعزى
لبى المهيمن ساجداً
العفو أرخ وافراً
مدّاح خير المرسلين
نسبة في العالمين
لما رأى عين اليقين
ولنعيم دار المتقين

ومما قيل في رثائه قصيدة للشاعر عبد الهادي أفندي الوفاي:

بكت الدنيا لفراقه واستوحشت
وتقول في إنشادها يا سيدي
والأكل صاح على المدارج قائلاً
قدمات سيدنا ومادح لونا
من عادة المرحوم كان إذا بدا
لما يرى صدر البغاجا بارزاً
ويقول حين يرى الكنافة تنجلي
كم وقع الزلزال في عرصاتها
تسعون زوجاً كان يأكل جالساً
ولمثل هذا قرّوني دائماً
تبأ له من أكلة مبغوضة
يا أيها الملفوف لا تشمت به
هذا ابن زين الدين مدّاح النبي
من أهلها وغدت تنوح وتنشد
هلا خدمتك كيف عني تشرد
أسفأ لمدّاحي يموت ويلحد
شيخ المآكل من به نتأيد
في الأكل يرغي كالبعير ويزبد
يهوي إليه ولا يدعه يبرد
يا مرحباً ببديعة تتوقد
ودعا القطائف شملها يتبدّد
ويقول ما أنصفتموني زودوا
لا تذكروا الملفوف ذاك الملحّد
تدع البطون كما المدافع ترعد
وتقول قدمات العدو المفسد
حاشاه يشقى والشفيع محمد



تَرْجَمَةُ صَاحِبِ الْمُنْظُومَاتِ الْهَلَالِيَّةِ

هو الشيخ محمد بن هلال بن محمود بن مصطفى بن إسماعيل ملاً زاده، الشهير بالهلاللي. ولد في حماه عام ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م)، وقرأ العربية على عمه المرحوم الشيخ زهير، وبرع في نظم الشعر، ففاق أقرانه في عصره وقطره. وله قصائد تدل على طول بابه في فن النظم مذكورة في ديوانه المطبوع في مطبعة حماه عام ١٣٢٩هـ.

وكان من الأدباء الندماء، وعلت شهرته في عصره، وتداول الناس أماديحه وأهاجيه، وتواشحه ولطائفه، حتى عُددَ شاعر البلاد الشامية.

وقد قضى مدة من حياته في حماه ثم سكن دمشق، فطابت له الإقامة بها، لوجود أناس يقدرّون الأدب قدره كالأمير الكبير عبد القادر الجزائري رحمه الله، فقد كان محسناً للشيخ الهلاللي، أجمل الإحسان، وقضى بقية حياته في دمشق، وتوفي يوم الاثنين ٢٩ ذي الحجة ١٣١١هـ، ودفن بمقبرة الدحداح بدمشق. وقد رثاه الشعراء، وأرخ وفاته الأدباء. ووصفه محمد بن عبد الجواد القاياتي المصري بأنه «خفيف النفس، ليس عنده كبرٌ ولا إعجاب بشعر».

ومما كان يؤثر عنه أنه كان كثيراً ما يخفي أشعاره عن الشيخ مصطفى زين الدين خشية أن يحولها إلى مديح للطعام. فسلمت له قصائد وعورض في آخر.



نبد مختارة

من مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣٢١ في بيروت
بقلم جامع الديوان محمد الخالد جلبي الحمصي
رحمه الله

حمداً لمن فضل بتمته نوع الإنسان، وميزه على سائر الحيوان بالنطق والبيان، أحمده حمد عبد وقف في ساحة التفكير في عجائب مخلوقاته، وصرف النظر إلى التدبر في بدائع حكمته وغرائب آياته وأصلي وأسلم على المبعوث بمعجزة القرآن، الذي تضاءل عن مجاراته في مضمار البلاغة الثقلان. سيدنا محمد بن عبد الله خير من نطق بالضاد، ومن أوتي جوامع الكلم فألقت إليه الفصاحة أزمّة الانقياد وانبجست من جوهر ألفاظه ينابيع الحكمة على وفق التأيد والسداد وعلى آله المطهرين وأصحابه حفاظ شريعته الطيبة الطاهرة.

أما بعد:

فإن الأدب أجمل ما اقتني من الذخائر والنفائس، وإن الشعر لفي الذروة العليا من مراتبه.

ولما كانت المعارضات الزينية على المنظومات الهلالية من أجل الفكاهات الشعرية حيث لم يسبق لناظمها سابق في مضمار وصف المآكل والموائد، ولم يلحقه لاحقاً في اقتناص الشواهد والشوارد ولم تنفك رغبة الناس في طبعها كل أن تتجدد، وتلهفهم إلى سماعها يتكرر ويتعدد. وتوفى الله المؤلف وبقيت أنا بعده بين إقدام وإحجام والناس تعاودني في تدوينها في ديوان، حيث أنها عندي مصححة من قلم صاحبها واللسان. لعلمهم بما بيني وبينه من الصحبة، وكمال الألفة والمحبة حتى أمكنت الفرصة فانتهزتها في الحال جرياً على قول من قال:

لا تؤخر فرصة إن أمكنت إنما الدهر سريع العطب

خلاصة مقدمة الطبعة الأولى لجامع الديوان، اقتطفناها حرفياً

صاحب المعارضات الزينية

هو الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي الشهير فارس ميدان التنميق والتعبير أديب فريد وشاعر مجيد كان صالحاً ورعاً تقياً، ولد بحمص وبها نشأ ولما كبر وشب حفظ القرآن وتعلم الخط والحساب ثم تعلق بالعلوم فأخذ بقسم وافر من كل منها وقرأ كثيراً من كتب الأدب والتواريخ وطالع أكثر دواوين الشعراء وأقوال البلغاء فحفظ منها في مدة يسيرة ما يعجز عن حفظه غيره في أعوام كثيرة وكان قد منح مع ذلك حسن الصوت وجودة الحفظ فتعلق بالعلوم الموسيقية فبرع بها وأحبه أعيان البلدة وأكابرها فكان سميع العلماء ونديم الشعراء والبلغاء ثم زادت شهرته وبعد صيته وتولع به الخاصة والعامة فاعتنقه الشيخ عمر اليافي صاحب المنظومات الدرية والقُدود البهية الموسومة «البكرية» فنزل عنده منزلة عظيمة وحلت عليه أنظاره الكريمة، ثم رحل مع الشيخ المذكور وتخرج بصحبته وصار منشد ذكره وحضرته فسافر معه إلى الأستانة العلية ونزلا عند عبد الله باشا أحد وزراء الدولة العثمانية وذلك في زمن السلطان محمود خان فحصل لهما الإقبال التام ووجهت على الشيخ مصطفى رتبة رؤوس أيبك بواسطة الباشا المذكور وانتظمت له الأمور وأحبه عبد الله باشا فحبسه عن المسير ونال منه خيراً كثيراً، ثم سافر معه إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأقام عنده مدة طويلة بمزيد الأنعام ورجع بعدما طاف البلاد المصرية فرأى في تلك المدة بدور المنظومات الهلالية طالعة وأنوارها لامعة والناس منها بين إعجاب وإطراب وإطناب وإسهاب، فأخذ في معارضته وشمر إلى مبارزته ولكن تركه في وادٍ وسلك وادياً آخر وعن تلك الخطة رجع وتقهر وعدل عن التغزل في الحور والبدور إلى وصف الموائد والقُدور إلى غير ذلك مما ستقف

على معانيه وتأمل رصانة مبانيه من المنظومات الفائقة والأدوار الرائقة والكلام الذي فاق بسلاسته وعدوبته كل كلام في هذا الباب، وأعجز فحول الشعراء عن مضاهاته وحير منهم الألباب، حتى قال قائلهم: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا لشيء عجاب ومن ثمة أوغر عليه صدر الهلالي حنقاً، وازداد تضجراً وقلقاً تأسفاً على إهمال نظمه الذي يفوق الدر المنثور، ونبذه خلف الظهور، وتولع الناس بما يعارضه به الشيخ المذكور، على أن الشيخ مصطفى لم يكن مقصوراً على النظم في المآكل إنما كان يأتي بذلك على سبيل التفكه والمداعبة وكان له نظم جيد رقيق والذي يدعوه أيضاً لسلوك تلك الخطط واقتفاء تلك الرسوم، كثرة ولعه في حب المآكل واللحوم، فإنه كان رحمه الله أكولا عظيماً وقد قيل من أحب شيئاً أكثر من ذكره وسوف تأتي على نبذ من مهمات أمره مع ما فيه فإنه كان رحمه الله مسامراً نديماً حافظاً إذا جالسك يملك نكاتاً وأخباراً وملحاً وآثاراً توفي رحمه الله سنة ١٣١٩هـ أثر نزلة صدرية لم تنجع فيها حيل المطيبين وله من العمر ما ينوف على السبعين وكان موته على هيئة تشعر بحسن الختام والفوز بدار السلام وذلك حيث كان رحمه الله رحمة واسعة في نهاية مرضه، وقد أصبح يوم الجمعة حتى إذا كان قبيل الصلاة رأى في نفسه خفة وراحة عول على النزول للجامع وكان قريباً لبيته، ولما أتى له بالماء توضأ محسناً للوضوء وحيث أتم بفرش مصلاه وشرع في صلاة سنة الجمعة قبل المسير فقبض قبل التشهد في السجود الأخير ودفن في عصر ذلك اليوم وكان له مشهد عظيم. مشى في جنازته أكابر البلدة وأعيانها، وقد أرخ موته العلامة المحقق والحبر المدقق نخبة الفضلاء الكرام وعمدة العلماء الأعلام أتاسي زاده السيد خالد أفندي مفتي حمص الأسبق قائلاً وقد رقم على القبر.

هذا الضريح لمصطفى	مداح خير المرسلين
من لابن زين الدين يعز	ى نسبة في العالمين
لبى المهيمن ساجداً	لما رأى عين اليقين
العفو وأرخ وأفر	ولنعيم دار المتقين

فمن بدائع شعره قصيدة تخلص بها إلى ذكر زفاف رضا أفندي الجندي

وهي:

ألم تر عم الكائنات سرور
كؤساً غدت بين الأنام تدور
هلموا فما ثمت هناك كدور
بأيدي سقاة بالجمال بدور
لعمري معنى دق وهو خطير
على متن غصن قام وهو نضير
فذاك شعاع الخد فيها يمور
كؤوساً مجازاً والحقيق ثغور
غدو على حاناتها وبكور
وفا الدهر أو منا يكون قصور
لأبهي غلام بل ونعم أمير

إلى بدرها شمس البهاء تزور
وغردت الأطيّار إذ روق الهنا
وقامت دعاة الأنس تدعو إلى الصفا
إلام التواني والكؤوس تشعشت^(١)
مدام لقد راقت ورقت فأشبهت
كذائب تبر فوق جامد فضة
فمنها اقربوا لا تختشوا شب جمرها
سلام وبرد للذي راح حاسياً
فدونك يا ابن البسط فالعيش أنه
فمالنا نلهو عن صفا الوقت بعدما
وقد جاد في أبهى زفاف ومحفل

وهي قصيدة طويلة كلها غرر.

وله أيضاً مكاتباً ومطرزاً:

لك يهدى من واله ذي اشتياق
لك تعزى مكارم الأخلاق
فُقت بدرأً بيهجة الإشراق
منجز الوعد طيب الأعراق
لستُ أنساه ما دمت حيا وباقي
باشتعال من النوى واحتراق

أيها الأوحـد الفريد سلام
لا برحت المدى بمحض سرور
حزت فخراً ونلت جاهاً وقدرأً
أنت بحر الوفا وكنز العطايا
جدت لي بالمنى وأجزلت فضلاً
بالثنا فاللسان فاه وقلبي

(١) تشعشع الضوء: انتشر. وشعشع الشراب. ونحوه: مزجه بقليل من الماء.

وتكرم بزورة وتلاق
مع حبيب أناله باشتياق
ارتداد لهفة العشاق

كامل الخير يا أخي بقرب
راجياً منك أن تشرف حيي
يا حميد الخصال إن من الخير

وله أيضاً مطرماً باسم رفيق :

غزال له دانت أسود المعمارك
أو اختال في ثوب البها في مسالك
وأصبح من دون البرية مالكي
أراقب زهر الليل ضمن الحبالك

رمانى بسهم من لحاظ فواتك
فما البدر يحكيه ولا الغصن إن بدا
يلذ لي التعذيب في حب من غدا
فليت الكرى^(١) لما شواني بحبه

وله أيضاً يعتذر عن عوراء غير أنها حسناء ، ملتزماً الجناس التام :

فوق الترائب عينها
لـة قد أعارت عينها
ما اخترت إلا عينها

وبديعة قد أفرغت
فهي المليحة للغزا
لو كل حسناء بدت

(١) الكرى: النعاس.

صاحب المنظومات الهلالية

هو محمد بن الشيخ محمد هلال ابن الشيخ محمد المفتي إمام مهرة القريظ، ومفتق أكمام أزاهر روض الأدب الأريظ، من بيده مفتاح باب البيان، والذي من شعره استفاد البلاغة لا من عقود الجمان، فهو الذي أنفق كاسد الأدب ببديع المعاني والألفاظ، وأكسد خطب قس بن ساعدة في سوق عكاظ. والتقف بعضا معجزة ما أتى به المتنبي من سحر البلاغة والبيان فأمن بآياته البحري ونوه له أبو تمام بالإذعان. ولد في مدينة حماة، وبها نشأ على التحقيق، وتغذى بامتصاص ضرع الأدب فاكتسب كل معنى رقيق. وأخذ من كل فن وعلم ما يقوم بحاجاته عند الرجوع إليه، وأناخت رواحل رحائل أهل الأدب بين يديه، وله فرائد القدود التي تخجل جواهر العقود فوائدها، وجواهر الموشحات التي تذري بقلائد النقود فرائدها وله ديوان شعر كأن به زهر المجرة تألفت، أو منه شهب البيان تألفت، شهد له بطول الباع في البراعة والبلاغة، وتقدم فيه على ابن قدامة وابن المراغة غير أنه كان رحمه الله في ابتداء أمره كثير الميل للخلاعة والطرب، قاصراً نفسه على الفرح والسرور كارهاً للحزن والوصب ميالاً بالطبع للجمال، مفتوناً بمحاسن النساء والرجال، كثير التغزل في القدود واللحاظ والخدود والنحور، مجيد الوصف في مدائح المسكرات والخمور، ثم تاب وارتجع آخر مدته ورجع إلى الإنابة إلى ذي الجلال والتوسل في المدائح النبوية مع الصحب والآل يدل على ذلك ما سنذكره من منتخبات قصائده بعد ترجمته لئلا نبخسه شيئاً من حقه ونقصر عن بلوغ وصف مرتبته.

رأى جفوة من أهالي وطنه كما يفهم من قصيدته الرائية فهاجر إلى الديار الشامية وتوطن بها وعطف على محبته الخاص والعام وزادوا له في التودد

والإكرام، فوضع بها القصاصد الدرية التي تتيه على القلائد الجوهريه فلم يغادر وزيراً من وزرائها ولا كبيراً من كبرائها إلا وأجاد في مدحه النظام وأتى بما يغني عن السلافة والمدام فجمعوا من منظوماته بالديار الحموية والشامية ديواناً ضخماً حوى كل عجيب من رقيق الغزل والمديح والنسيب بعدما تفرق منه الأكثر وضاع في ضواحي الإهمال واندثر حيث أنه رحمه الله لم يكن له اعتناء بجمع مسودات أقواله ولم تكن تخطر هذه الأمور بباله، بل متى خرج الكلام عن شفتيه وانفصل نسي ما قال كأن لم يكن فعل.

توفي بمدينة دمشق سنة ١٣١١هـ متمثلاً قبيل موته بيتين يدلان على صحة عقيدته وقوة إيمانه وحسن رجائه بسعة فضل من يجود عليه بغفرانه وهما:

مت مسلماً ومن الذنوب فلا تخف حاشا يريك إلهك التنكيذا
لو رام أن يصليكَ نار جهنم ما كان ألهم قلبك التوحيدا

حقق الله آماله وغفر ذنوبه وأحسن أحواله وجاد عليه بكرمه ومنتته وأدخله فسيح جنته إنه لا يخيب من دعاه ولا يؤاخذ عبداً تنصل إليه من ذنوبه ورجاه.

ومن بدائع نظمه متوسلاً بجنابه العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

مالي إذا ألهم ادلهم إلّاك يا ماحي الظلم
كم قدت نفسي للتهم وظلمتها مع من ظلم
نفس ألمّ بها ألم وأذلهما زل القدم
وأنتك تشكو حالها لتفوز في حسن الرشذ
يا من تقول أنا لها حقاً وأنت لها مدد

* * *

يا خير من عنه روى ماليس ينطق عن هوى
عن سر وحي ذي قوى عمّن على العرش استوى
أرجو ولسي أن أرجوا ولك الشفاعة واللوا

أنت الشفيح فلامرذ
حقاً وأنتَ لها مدد

جدلي بها لأنالها
يا من يقول أنا لها

وقال متوسلاً به عليه السلام أيضاً:

بك يا عظيم الجاه والأفضال
باب النبي لقد حططت رحالي
صحفي لديك وهذه أعمالي
أضحى شبيه الحرف بالإهمال
بك ينجلي عنه عنا الأوجال
قذفت به الأهواء في الأهوال
منه لخد الأرض مسكة خال
أن لا يشم مدى الزمان غوالي
قبر عليه الكوكب المتعالي
العرش المجيد وكل شيء عال
بالمذنبين لدى الولي الوالي
وأنت قولك أمتي وعيالي
نور قديم الكون في الآزال
يك ثم إنسان من الصلصال
م وكان آدم قبلة الإقبال
هراء بالكرار أشرف آل
بدر حماة سادة أبطال
ليعود بعد العطل أحسن حال

مالي على البلوى سوى أمالي
وأنا الدخيل وحملتني ثقلت وفي
ماذا ترى وبك استجرت وهذه
أدرك سميك يا محمد إنه
أدرك جزوعاً مسه ضر عسى
رحماك رحماك النجاة لمفرق
يا طيب اللحد الذي في طيبة
هي تربة ماذا على من شمها
روحي الفداء لثالث القمرين من
أكرم بها من بقعة شرفت على
يا رحمة للعالمين وشافعاً
والرسل كل منهم نفسي يقول
إنني سألتك بالذي أبداك من
وبأنس طلعتك التي كانت ولم
سجدت لطلعتك الملائكة الكرا
وبحرمة الحرمين بالسبطين بالز
بسنا بدورك ناصرين الله في
إلا نظرت بسوء حالي نظرة

وله يمدح محمد باشا اليوسف ويهنته بالعيد الأضحى :

عيد سنا البركات منه بادي
عيد لأولنا وآخرنا به
تلك الأيادي اليوسفيات التي
روحي الفدا لمحمد اسم على
بدر لأخمصه الثريا موطن
الأحمدئي المستحق الحمد ما
والمرتقي فوق السها شرفاً بها
رتب قد انفردت بجمع مكارم
ورث الندى وبنى الفخار وحبذا
والأصل فخر للفروع إذا بدت
لله در اليوسفي محمد
والفضل أشهر ما يكون مقررأ
ماذا أقول بفضل من مدحي له
هيات أقلامي له تحصي ولو

كم حاضر منه استنار وبادي
نزلت موائد من سماء أيادي
ملكنت ببحر النيل مصر فوادي
ذات سما بصفاتها إنشادي
أبدأً وغايات الكمال مبادي
غدت الشهور روائحاً وغوادي
وادي الحما لازال أشرف وادي
آحادهما في رتبة الأعداد
مجدأً أتى من طارف وتلاد
ببني البنين سريرة الأجداد
محيي جميل جدوده الأجواد
بشهادة الأعداء والأضداد
تحصيل شيء حاصل الإيجاد
نفدت بمدحته بحار مدادي

وله هذه القصيدة الرائية الغراء الشهيرة التي سارت بحدِيثها الركبان
وتهادتها بلغاء الزمان وهي مبنية على ذكر واقعة جرت بينه وبين بعض
علماء حماه بإسقاط الشفعة بصره مجهولة قال :

ما قر قلبني في الهوى أو طارا
يا نازلين بمهجة الصب^(١) الذي
إلأ ليقضي منكم أوطارا
منه الخواطر تحمل الأخطارا

(١) صبّ إليه صبابة: رنّ واشتاق فهو صبّبٌ وهي صبّبة.

صب إذا ما شام برق الشام صب
 وإذا أضامنكم له صبح الرضا
 لا والضحى والليل من طرس^(١) على
 والنجم من كاس المدام إذا هوى
 ما ضل عن نهج الصواب وما غوى
 من للكليم^(٢) المستهام فإنه
 قد كان يقنع بالجواب بأن ترى
 والآن مشغوف برؤيا طلعة
 رؤيا جمال مطلق بحدوده
 وشهود أقمار على نظري لها
 وصعود معراج على تشبيهه
 في ليلة غاب الرقيب بها وقد
 وكواكب الأقداح من هالاتها
 يسعى بها بدر يريك إذا بدا
 قمر تقرطق بالثريا واحتوى
 تهوى الأهله أن تكون قلامه
 والشهب من كبد السماء توذ لو
 ساق لديه المسكرات تنوعت
 أحوى حوى كل الجمال وجمال في

الدمع من أجفانه مدارا
 حسب الظلام المدلهم نهارا
 غرر تفل شموها الأسحارا
 والناس من خمر المدام سكارا
 صب نحا نحو الحبيب وسارا
 في القلب لا في الطور آنس نارا^(٣)
 عندالخطاب ويقتفي الآثارا
 من نورها شمس الضحى تتوارى
 وقيوده كل القلوب أسارى
 مني المسامع تغبط الأبصارا
 من قاب قوسين المقام أشارا
 حضر الحبيب وزحزح الأستارا
 تجري الشموس لتدرك الأقمارا
 فلكاً بزهر النيرات مدارا
 تحت الدجى شفق الصباح خمارا
 منه إذا هو قلم الأظفارا
 كانت لأطلس برده أزرارا
 خدأ وطرفاً ناعساً وعقارا
 ذاك المجال وكم سبى مغوارا

(١) الطرس: الكتاب الذي مُحي ثم كُتب.

(٢) الكليم: من يكالمك، وهو لقب موسى صلوات الله عليه، لأن الله كلمه.

(٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ سورة

القصص: الآية ٢٩.

جنات وجنات بأحشائي حشت
قدَّ يصول على الورى بنصوله
وسهام أَلحَاط تكاد مع القضا
سود تحارينا ببيض لم نجد
فتن يؤجج كحلها فتثيره
تلك العيون المستبيحات الدما
المرسلات لعزة رسلاً على
رسلاً ولكن ما دعت متعتاً
سبحان من أوحى لها بالأمر ما
الله ربي ما أضل عواذلي
عدلوا الشجي فليتهم عدلوا إلى
ضلّوا على علم فكانوا عصبه
غدروا مع الدهر الخؤون ولم يزل
يا دهر هل يدري السفيه بأنني
يا دهر كم أصفي إليك مودتي
يا دهر كم بالعكس تقضي يا ترى
يا دهر ميزان امتحانك يخفض
ثقلت موازين الكرام لأنهم
وأخو الكمال لدى النواقص درهم
هبهم يروني واحداً لكنهم
وعداوة الشعراء بثس المقتنى
أيقظ عيونك أيها المغرور بي
فلأبلون جحافل الأعداء في

من نار أخذود الخدود جمارا
فيقد في خطراته الخطارا
نحو القلوب تسابق الأقدارا
منها إلى سبل النجاة فرارا
سمر المراد في الجفون غبارا
المستعبدات بأسرها الأحرارا
عاصي الهوى قد جردت بتارا
إلاً أتاه طائعا مختارا
أوحى وعلمها لنا الإنذارا
فلقد غووا واستكبروا استكبارا
دين الهوى واستغفروا استغفارا
شهدوا الصباح فأنكروا الأنوارا
طبع الزمان بذى الوفا غدارا
أدريه لكن السفيه يدارى
حلماً وأنت تشيها أكدارا
الحسنات عندك أصبحت أوزارا
الأخيار حتى ترفع الأشرارا
رجحوا على القوم اللثام عيارا
منه يوازن منهم قنطارا
سيرون مني عسكرياً جرّارا
لمن اقتناها عدة وشعارا
لا تحسبني كوكباً غرارا
نقص يزيد الظالمين خسارا

ولأمطرن عليهم شراً له
ولأدعون بدعوة نوحية
ولأغرقن القوم بالطوفان إن
نفروا عن النور المبين من العمى
حمر لقد خلق الشعير لهم فلا
فقهاء أنى يفقهون وإن من
عَدَدِ بِلَا عُدَدِ لَذَاكَ نَعْدَهُمْ
أَفِ لِمَا غَرَسُوهُ مِنْ عَيْبٍ وَمَنْ
شُرَكَاءُ مَكْرٍ لَمْ تَزَلْ أَشْرَاكُهُمْ
خَسَرُوا فَلَا رِبْحَ تِجَارَةٍ خَاسِرٍ
سَتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى عَمْدًا وَمَنْ
عَلِمَاءُ تَصْرِيفٍ بِتَحْرِيفِ الْكَلَامِ
لَبَسُوا الرِّيَاءَ فَشَفَّ عَنْ أَوْزَارِهِمْ
رَكَبُوا الْكِبَائِرَ مَعْجِبِينَ لِكِبْرِهِمْ
وَتَبَادَرُوا فَتَفَاخَرُوا فِي أَخْذِهِمْ
مَنْ كُلِّ مَحْتَالٍ تَرَاهُ ثَعْلِبًا
مُتَفَلِّسًا كَالسَّامِرِيِّ^(٤) كَهَانَةً
كَالْمَاءِ دِينَارًا وَالتَّرَابِ كَثَافَةً

شرر يعم بقطره^(١) الأقطارا
يا رب منهم لا تذر ديارا^(٢)
أجريت لله الدموع غزارا
نفروا إلى ظلم الضلال نفارا
عجب إذا لم يفهموا الأشعارا
عاداتهم أن يحملوا الأسفارا
بصغارهم بين الكبار صغارا
غرس المعائب يَجْنِ مِنْهُ الْعَارَا
تصطاد من أوكارها الأطبارا
أضحى بأسواق الأذى سمسارا
غالي الشريعة أرخصوا الأسعارا
عن المواضع يمنةً ويسارا
وكفى بذاك فضيحةً وشنارا^(٣)
بنفوسهم فاستصغروا استصغارا
مال اليتيم مغانما ومغارا
طوراً وطوراً بالمكائد فارا
وكعجله تركيبةً وخوارا
والنار خلقاً والهواء قرارا

(١) القَطْرُ: المطر: النحاس الذائب.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴾ سورة نوح: الآية ٢٦.

(٣) الشنار: الأمر المشهور بالشنعة والقبح.

(٤) السامري: أحد بني إسرائيل من قبيلة السامرة، صنع العجل، وعبده ودعا قومه إلى عبادته.

جبري^(١) إذا ترثيه قدري^(٢) إذا
 فاسأل صلاة الصبح عنه هل لها
 شيخ إذا استدعيتَه لخصومة
 بل يدعي ضاع المتاع ولم يخف
 أو جثته مستشفعاً في شفعة
 يسعى ليسقط حقها متحياً
 حيل إذا حولت ظاهر أمرها
 واضيعة الإسلام في وادي حما
 وإد به العاصي تجرا واعتدا
 أسفي على الوادي المقدس في بني
 حيث الليالي السود حلت حوله
 حتى إذا جن الظلام رأيت في
 وطن توطنه البلا وسطاً على
 وعلى نواحيه نواعير النوا
 حزنأ على الأرض التي قد أنبتت
 كانت حماة الشام تدعى شامة
 واليوم حمى شؤمها عمت فلا

استعطفته وأريته الدينارا
 علم به واستخبر الأعصارا^(٣)
 بوديعة لا يدعي الإنكارا
 يوم اللقا التعزير والإقرارا
 علماً بأن الجار يرعى الجارا
 في صرة مجهولة مقدارا
 تلقى بواطنها ريباً وقمارا
 لو لم يكن لبني النبي جوارا
 وعلى الشريعة قد طغى وتجارا
 جيلان والسامي بهم مقدارا
 بصروفها فتكونت أسرارا
 حاراته أهل العقول حيارا
 جيرانه داعي البلاء وجارا
 ح من البيوت تساجل^(٤) الأنهارا
 بعد القرنفل والورود بهارا
 بين البلاد وللحماة ديارا
 تروي لها السبع البحار أوارا^(٥)

-
- (١) الجبرية: مذهب من يرى أن كل ما يحدث للإنسان قد قدر عليه أزلاً، فهو مُسَيَّرٌ لا مخيَّرٌ. وتطلق على مقتني هذا المذهب (المعجم الوسيط).
- (٢) القدرية: قوم ينكرون القَدْرَ. ويقولون إن كل إنسان خالقٌ لفعله (المعجم الوسيط).
- (٣) إشارة إلى صلاة العصر.
- (٤) تساجلوا: تباروا وتفاخروا.
- (٥) الأوار: حرُّ النار.

لما عليها بالدعاء أشارا
عند الثقات يصحح الأخبارا
قاطع بفروعها الأشجارا
ولرب شوك أنبتت أزهارا
شؤم الحمأة ينقُر الأصبهارا
تذر الفصيح مبلداً وحمارا
والبوم أمسى بلبلاً وهزارا^(١)
يوماً إذا رزق الجناح وطارا
نكداً مصادقة العدا إجبارا
قهر العباد ولم يزل قهارا
أحلاه عند مجريه مرارا
فيه العداة عييدها الأشرارا
أما لأمر ما فلا إنكارا
خفض الجناح ليرفع الأضرارا
الإعسار إذ يلقي الفتى الإيسارا
يعدو وتلك تعدد الأدوارا
باق يسوق بأمره الأقدارا
فذر السوى وتجنب الأغيارا
براً صبوراً ساتراً غفارا
لكل شيء عنده مقدارا
سبحانه الباري فليس يبارى

سل سيدي علوان عن عنوانها
واستقص ذلك بالتواتر إنه
فدع الملام إذا فلاني لست أول
هي منبتي وإلى حماها نسبتي
وهي العروس محاسنا لكنما
بلد حمية جاهلية أهلها
بلد بها الخفاش أصبح ناطقاً
فالنمل أسرع ما يكون سقوطه
محن وأعظمها أذى وأشدها
صبراً أخي على قضاء مقدر
صبراً أخي وإن يكن مرأ فما
بئس الحياة حياة حر حكمت
لا كان من يرضى الهوان لنفسه
فضرورة المضطر تحوجه إلى
والحزن يعقبه السرور وبينما
فلك وأيام فهذا دائر
والكل فان والمقدر وحده
وهو الذي لا رب يعبد غيره
أعظم به رباً غيوراً قادراً
خلق الحظوظ وأهلها حقاً وإن
ينهى ويأمر والقضا غير الرضا

(١) الهزار: طائر حسن الصوت.

بيديك يا من تعلم الأسرار
هاقد دعوتك خفية وجهارا
ين استهتروا بوعيدك استهتارا
لا يعجزون الواحد القهارا
الفضل عنهم واكشف الأستارا
يا رب فاقطع منهم الأدبارا
ع شعاع شعري في البلاد وسارا
بمديح شمس الأنبياء منارا
طه الأمين المصطفى المختارا
لولاه مادينا الوجود ومارا
وبيانه والمنطق الأحجارا
ك الكنز لم نعرف له مظهارا
دانت بدور ظهورها الأعصارا
إذ أنت مسك ختامها المعطارا
حقاً وأدم لم يكن فخارا
عبد المطلب أنت النبي نجارا
لأنالها ومجاوري لأجارا
سلبته أشراك العدا الأوكارا
ظل إذا حمي الوطيس وفارا
وسلامة لمن ارتقى الجبارا
أصبحت مما حل بي محتارا
مستنصرا بجنابك استنصارا
لك أصبحوا حباً بك الأخيارا

ولنا الظواهر والبواطن علمها
يا من إذا الداعي دعاك تجيبه
يا رب أنقذني من القوم الذ
وعليك فيهم يا غيور فإنهم
وبمحض عدلك رب عاملهم وحط
زعموا الوصول إلي فيما دبروا
وأنا الهلال بغير شك حيث شا
أنتى يوافيني الكسوف وإن لي
أجلى مجالي الله أجمل خلقه
الثابت الأقدام بالإقدام من
المخرس البلغاء في نفثاته
مفتاح كنز كان مخفياً وذا
مغلاق رمز محمدية طلعة
يا من به بدء الرسالة قد زكا
يا عنصر النور القديم فخاره
أنت النبي بلا كذب أنت ابن
يا من تقول أنا لها كن شافعي
عظفاً على فرخ ضعيف قاصر
حسبي النجاح ولي جناحك في غد
وكفا بدينك سُلماً لمن ارتقى
رحمك رحماك الهداية إنني
ولقد أتيتك سيدي مستنجدا
وبصحبك القوم الذين بحبهم

المحاكمة بين الهلالي وزين الدين

ذكر لي القصة مراراً الشيخ مصطفى المذكور ونقلت عن غيره على ما هو المشهور.

وهو أنه لما تسلط على منظوماته بالمعارضة ولم يكن رأى أحدهم الآخر ونشرت تلك المنظومات بين يدي الخاصة والعامة وأعجب الناس بها فقل أن تجد مجلساً نشرت به تلك الأقوال وقد تقطبت فيه الوجوه وانقبض أهله إلا وانقلب سروراً وابتهاجاً، وكانت تحمل إلى الهلالي وتقرأ بين يديه فيمتلىء غيظاً ويبالغ في ذمه وإيذائه داعياً عليه بقوله:

«لا أشبع الله بطنه»، وأخيراً لقبه بالجوعان فكان علماً عليه في سائر البلدان وربما يعثر بحمصي في حماه فيقول له: أما آن لكم أن تشبعوا جوعانكم يا أهل حمص، وكانت أيضاً الحمويون تعرف منه ذلك فيكثروا المزاح مع الهلالي باستحسان أقواله ومعارضته لتقطيع الأوقات وجلب البسط إلى أن توجه إلى حماه سنة ١٢٩٣هـ حضرة العالم الفاضل والجهيد الكامل أتاسي زاده السيد خالد أفندي مفتي حمص الأسبق، فأخذ بصحبه الشيخ مصطفى وبعضاً من أقاربه وحاشيته فاستقبله أهل حماه وحلّ عند السادة الكيلانية ضيفاً كريماً، وحيث كان ببعض المجالس إذ رفع إليه ابن الشيخ هلال قصيدة تائية تهنته بقدمه مطلعها

بصفا قدومك طابت الأوقات وبراح لطفك غنت الكاسات

فقبلها منه خالد أفندي وأحسن جائزته وأخذ نسختها من معه من أقاربه

فعرضها على الشيخ مصطفى وطلب منه بأن يعارضها فأبى، وطلب المهلة إلى حين الإياب خشية بلوغ الهلالي معارضته فتقوم بينهما الفتنة، فلم يقنعهم ذلك وألزمه بمعارضتها، ولما لم يجد بدأ عارضها بقوله:

من لحم ضأن نُوعت أكلات فالهبر منه طابت الكبّات
إلخ كما سيذكر في فصل المعارضة قريباً. وحيث عارضها أخذت منه وعرضت على الهلالي وما قصدهم بذلك إلاّ قيام الفتنة بين الاثنين لينظروا إلى ما يؤول إليه أمرهما.

فلما بلغت الهلالي رجوع إلى عربدته وحلف لئن لم يرحلوه من حماة ليهجون الكبير منهم والصغير فحسن له بعض الحمويين من الطائفة الكيلانية وغيرهم رفع الدعوى عليه لجناب معالي متصرف^(١) لواء حماه، وكان إذ ذاك متصرفاً المرحوم محمد باشا اليوسف فأعجب الهلالي ذلك وصمم على رفع الدعوى رسمياً لجناب المتصرف المذكور متأملاً مساعدته اعتماداً على ماله به من غرر المدائح وما أصبح صباح ذلك اليوم حتى أفهمت الدعوى لسعادة الباشا محمد اليوسف لأجل إكمال فصل المزاح وربطت بين كل من أعيان حمص وحماه الموجودين، وحيث كانت الساعة الثامنة من النهار هرع كل من الأفندية إلى المجلس الذي عين لحضور المحاكمة ولم تكن غير ساعة حتى غص بالأعيان وحضر الهلالي فرفع الدعوى لجناب المتصرف طالباً تربية الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي بنوع ما من إهانة أو حبس واستتابته عن معارضة منظوماته حيث صارت أقواله بتلك الوسطة مبتذلة مقصورة على الضحك والسخرية وترك الناس الالتفات لبلاغتها والإعجاب بحسن تركيبها وجزالتها وتبعوا مجازفات الزيني^(٢) لما بها من المضحك كوصف المآكل واللحوم والهزل المشوم^(٣).

(١) المتصرف: لقب كان يطلق أيام الحكم العثماني على ما يسمّى الآن «محافظة» المدينة.

(٢) يقصد به «الشيخ مصطفى زين الدين».

(٣) بشم من الطعام: أكثر منه حتى اتخم وسثمه.

ولما بلغ الهلالي إفادته أظهر المتصرف الغيظ ثم طيب قلبه . وبالحال أرسل اثنين من الضباط يأمرهم بإحضار الشيخ مصطفى حيث كان فسارا حتى وقفا عليه وأمره بالمسير والإجابة لمتصرف باشا فأجاب بدون روع ولا رهبة ثم سألهما عن السبب فأخبراه برفع الدعوى عليه من طرف الهلالي ففهم المقصد وسار معهم حتى وصل إلى المجلس ودخل وسلم ثم وقف، فلم يؤمر له بالجلوس والتفت إليه المتصرف وقال له: فقال أنت الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي، فقال: نعم وكان الشيخ مصطفى قد رأى عند دخوله بين أعيان حماه رجلاً عليه أظمار^(١) رثة ففترس أنه الهلالي لما قدمناه أنه لم يكن رآه قبل ذلك . ورآه ينظر إليه شذراً نظر المتغيظ وكذلك الهلالي لم يكن رآه إلا تلك الساعة، ولأجل ذلك صار يطيل النظر إليه متعجباً من هيكله حيث كان رحمه الله وسيماً جسيماً، وكان الهلالي قصيراً دميماً، ولما سأله المتصرف ذلك السؤال وأجاب نعم صبر عليه حصة ثم سأله هل تعرف محمد بن الشيخ هلال؟، فقال: أما بالشهرة فنعم وأما بالهيئة فلا، فقال له: فإذا ما حملك على معارضة منظوماته، فقال الشيخ مصطفى: أرجو من سعادة الباشا أولاً أن يعرفني خصمي الذي أقام علي الدعوى وبعد ذلك أجب فأشار له المتصرف عليه .

وكان قصد الشيخ مصطفى ينظر هل أصاب بفراسته أم لا ولما عرف أنه لم يخطيء أجاب المتصرف بقوله أترجى سعادة الباشا أن يأمر بقيام خصمي إلى جانبي كما هو شأن المتحاكمين والذي عليه الشرع والنظام، أو يأمر بجلوسي لأجل المساواة مع خصمي حيث لا وجه لتمييزه علي، فتبسم المتصرف ولكن أظهر الجلد ولم يرهو ومن حضر أن يأمر الهلالي بالقيام خيفة من بداءة لسانه وحجة الشيخ مصطفى مشيدة المباني وعليه فأمر الشيخ مصطفى بالجلوس ونصب له كرسيّاً في وسط المجلس فجلس وطلب منه الجواب فقال الشيخ مصطفى: أترجى سعادة الباشا أن يأمر الهلالي أن يقرأ قصيدته التي يدعي أنني عارضتها وأنا

(١) الطَّنْرُ: الثوب الخَلَقُ البالي . والجمع: أظمار .

أقرأ المعارضة وبعد ذلك أجيب بما فيه الإقناع إن شاء الله. فقال الحاضرون: هذا الكلام جيد، ثم أمروا الهلالي أن يسمع الحاضرين القصيدة التي يدعي معارضتها، فقال الهلالي أهي قصيدة مخصوصة، فإنه لم يترك لي قصيدة إلا عارضني بها، ولكن أنا أقرأ لكم الحادثة منذ يومين، ودعونا من الماضي فإنها أشد علي لجرأته علي في بلدي ثم إنه اندفع ينشد قوله:

بصفا قدومك طابت الأوقات وبراح لطفك راقت الكاسات
والممدوح خالد أفندي^(١) المشار إليه إذ ذاك موجود وبقية الأفندية الحمصيين، فأعجب الحاضرون بفصاحة الهلالي وشكروه، ثم أشار المتصرف إلى الشيخ مصطفى أن يقرأ المعارضة فاندفع ينشد قوله:

من لحم ضأن نوعت أكلات فالهبر منه طابت الكبات
حتى أتمها فلم يبق أحد في المجلس إلا وكاد يغشى عليه، فصبر الشيخ مصطفى حتى هدا ضجيج الضحك ثم التفت إلى الباشا وأهل المجلس وقال:

غير خافي على سعادة الباشا ومن حضر من الأعيان ما بين الكلامين من الفرق والبون العظيم، فإن الرجل سائر على طريق وأنا سالك طريقاً أخرى حيث إنه رجل يتغزل في الخدود والعيون والنحور، وأنا أتغزل في اللحوم والسمون والقدور.

وهو يمدح الأمراء والأكابر والأعيان، وأنا أمدح الألبان ولحوم الضان. ولا حُجر على شاعر قبلي قديماً ولا حديثاً ولا خيط فمه، فإن الشعراء مطلقو السراح في كل فج وناح فما الذي يضره من معارضتي هذه؟.

(١) خالد أفندي الأناسي مفتي حمص الأسبق. ولد عام ١٨٣٧م، وتوفي عام ١٩٠٨م. من أشهر آثاره العلمية كتابه «شرح المجلة في ستة مجلدات». من أولاده المرحوم الشيخ طاهر الأناسي مفتي حمص الأسبق. والمرحوم هاشم الأناسي أحد رؤساء الجمهورية السورية السابقين.

ولم يتم الشيخ مصطفى كلامه حتى انقلب المجلس ضحكاً، وقال بعض الحاضرين: أصاب الرجل، وقال آخرون: قد أتى بمخلص، فازداد غيظ الهلالي سيما من ضحك أهل المجلس ونهض قائماً وقال: «أنا لا أقبل هذا الدفاع منه بل أعترض عليه وأنقض كلامه».

فقالوا: «قل إن كان عندك ما يدحض هذا القول فلنا نراه متيناً». فقال لهم: «عندي ولكن أسأله إن كان يصدق فيما يقول فأنا أسلم أنه خارج عن صدد كلامي ولكن ما باله لا يخرج عن القافية والبحر حتى نبرئه من ذلك». فقالوا: «صدقت وها هو يسمع فليدفع».

فتنحج الشيخ مصطفى وقال: «كنا قدّمنا أن لا حجر على شاعر فيما يقول فإن القافية والبحر لم يختصا بواحد مخصوص بل يشترك فيهما جميع الشعراء ما دامت متداولة حروف الهجاء وكذلك بحور الشعر، فإن أهل هذا العلم وسّعوا تلك الدائرة ووضعوا على ذلك قوانين ودونوا كتباً ودواوين وجعلوه علماً مستقلاً ووزعوا كتبه على الناس ليكون مطلوباً مرغوباً، ولم يجعلوه بين أناس مخصوصين وحجروه عن الباقين، فكان مشتركاً بين الأمة بل وجميع الأمم. وها تلك الشعراء من المسلمين والذميين والوثنيين في جميع الأقطار فإنهم لا يحصون كثرة فأى اعتراض علي بذلك ومن خصصه بتلك القوافي وحده وحجرها على غيره؟»

فقال بعض الحاضرين أجاب الرجل فقل أنت؛ فقال الهلالي: «سلّمنا أنه لا حجر على شاعر فيما يقول، ولكن لم يضيق الله عليه والشعراء كثيرون فلأي شيء لم يعارض غيري ولم يتبعه، فلو سمعت أنه يفعل ذلك بغيري ولو بواحد يشركه معي فيعارضني مرة ويعارضه أخرى لما كنت أبالي ولكن اقتصاره على شعري يشقُّ علي».

فالتفت الحاضرون إلى الشيخ مصطفى وقالوا: «صدق الرجل فيما قال والآن قامت عليك الحجة ولا نجد في وسعك دحض هذا الكلام فماذا تقول؟».

فقال: «نعم أنا خصصته بالمعارضة دون غيره لرغبة الناس في شعره وانعكافهم عليه لبلاغته، فالمعارضة عليه أيضاً تكون رائجة ويتلقاها الناس بالقبول ومخالفتي للموضوع لدفع الاعتراض وظهور ثمرة كلامي بفرض وجود شاعر في هذا العصر يعلو كلامه على كلامه فإنني أتبعه أيضاً وأترك صاحبنا الهلالي ولما كان ذلك مستحيلاً والرجل أخذ الطبقة على أقرانه وتفرد بها لا سيما قدوده الراقية وموشحاته الفائقة، وهذا الذي ألجأني لمعارضته أفلا كنت معذوراً؟». فضحك أهل المجلس وقالوا: «بلى ولكن نحن سمعنا معارضتك له في القصائد ونريد أن نسمع معارضتك له في القدود لننظر بين الكلامين ونحكم بما نرى ونشهد للمجيد والمستحکم منكما». فقال الشيخ مصطفى جيداً ثم إنه اندفع يغني بقدِّ للهلالي كان مدح به بعض السادات الكيلانية وهو هذا:

يا بدر حسن كم سهرت أراقبه والليل مالت للغروب كواكب
 ما من كليم الوجد أنت مصاحبه إلا ومغناطيس حسنك جاذبة
 للحن والألحان قم يا أخا الأشجان بالبحور والولدان
 فالحبُ دين والجمال مذهبه

ولما فرغ من لازمة الهلالي ذكر لازمته وهي:

يا صدر بصماكم برزتُ أحاربه والقطرُ طابت للنفوس مشاربه
 ما من أرز واللحوم تصاحبه إلا ومغناطيس بطني جاذبه
 بالكف والأسنان بالله يا جوعان قم سقسق الرغفان
 فالجوع شينٌ والطعام يناسبه

ثم مشى الشيخ مصطفى على ذلك بالأدوار دوراً للهلالي ودوراً من معارضته وكان جيد الصوت كما قدمنا حتى أتم القد إلى آخره هذا، وضحك أهل المجلس يتزايد عند إتمام كل دور. ورأى الهلالي ميل أهل المجلس إلى كلام الزيني وإعجابهم به فمما غيظة واستشاط غضباً ثم قام وأراد الهجوم على

الشيخ وأن يسكته رغماً ولو في ذلك خروج عن دائرة الأدب، ثم التفت إلى من حضر من الأعيان وقال: «أنا أعلم أن لكم في ذلك ميلاً ورضاً لما فيه ما يضحككم ويدخل عليكم السرور وحيث كانت تلك نيتكم فأنا قد أقلت هذه الدعوى ولست محتاجاً هذه المحاكمة». ثم إنه مشى إلى ناحية الباب متمثلاً:

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وأراد الخروج على حالة الغضب وخاف الأعيان من هجوه وبزائه لسانه فتلفوا به وأجلسوه وأوعدوه أنه لا ينفُض ذلك المجلس إلا على ما يريد والتفت عند ذلك المتصرف إلى الشيخ مصطفى وقال له:

«اعلم يا حمصي أن ما أتيت به من الحجج لا يقنعنا ولو كان حقاً لأننا أيضاً لا نسمح لك بمعارضة الهلالي واقتصارك على شعره فيكون بذلك تنزيلاً لقدره وأيضاً لا نحجر عليك بل نقول لك أشركه مع غيره حتى تحصل المساواة فأنت بين شيئين إما أن تشركه مع غيره أو أن تتوب عن معارضته البتة، وإن سمعت أنك عارضته بشيء من منظوماته أرسلت وأشخصتك من حمص على حالة غير مرضية، ويكون ترتيب جزاك بسبب المخالفة». ثم تكلم معه أيضاً الحاضرون بمثل ذلك، ورأى الشيخ أن ذلك ترضية للهلالي وأن القوم داخلهم الخوف من لسانه فترك المنازعة وتبع هوى الجماعة وأذعن بالتوبة عن معارضته وعاهدتهم على ذلك فشكره الناس وأسفر وجه الهلالي بعد التقطيب ثم أمرهما المتصرف بالصلح والمصافحة ليزول ما بقلوبهما فامثلا وقاما إلى بعضهما وتصافحا وقبلا ذقون بعضهما فصفق أهل المجلس وفرحوا بذلك الصلح وأقبلا بعد ذلك ليقبلا يد الباشا فأجاز كل واحد منهما بذهب عثماني وانفض المجلس على أتم سرور لأنهم لا يحصلون على ساعة مثل هذه في كل وقت.

وحيث كانوا نازلين من سلم المكان أقبل الهلالي على الزيني وقال له سراً: «اعلم يا حمصي أنني لست بطيب الفؤاد من صلحك، وأخاف أن تذهب إلى بلدك حيث تظمن فتعود لما كنت عليه ولكن خذ فهذه جائزتي أيضاً هبة مني

إليك ولتكن التوبة من قلبك، ألم يكن ناموسك يرد عليك عن مثل هذه المواقف والسخریات لأننا أشبعنا أهل المجلس ضحكاً، وحصلت أنت على الجائزة وحدك، أما كفاك؟» فقال: «بلى كفاني ثم إنه أخذ منه الجائزة وعاهده ثانياً وطيب قلبه. وقال له: أنا كنت معولاً من نفسي على التوبة والرجوع لكن الأذى من الناس لاقتراحهم ذلك وأما بعد اليوم فما بقيت تسمع غير ما نفذ به القضا». فقال الهلالي: «عفا الله عما مضى». ثم تفرقا وكان الهلالي قد نظم في تلك الأيام قداً جديداً وهو:

نبه الندمان صاحي إن داعي الأنس صاح
حيث من أيدي الملاح لاح نجم الكأس لاح

وله بقية أدوار مذكورة في فصل المعارضة فجيء به للشيخ مصطفى فعارضه تلك الليلة بقوله:

قدّم الخرفان ناحي إن داعي البطن ناح
حيث من لحم الأضحى راح همّ الجوع راح

وبلغ الهلالي ذلك فكاد أن يخرج من عقله وانطلق يطوف عليه السكك والشوارع حتى عثر به في دكان قصاب وقد قطع له كمية من اللحم وشواها وهو جالس يأكل وإلى جانبه زبديّة من اللبن العربي وليس مبالياً بشيء.

وإذ قد فاجأه الهلالي وهو يعربد ويقول آه يا خائن يا ناقض العهود أما اصطلحنا البارحة بحضرة متصرف باشا وأعيان حمص وحماه وعاهدتني على التوبة ما الذي حملك على نقضها مع قرب العهد فكيف إذا سرت إلى بلدك أكون منك أميناً، ما هذه الوقاحة والبلادة وقلة الحياء؟

هذا والشيخ مصطفى يضحك ويعزم عليه بالأكل معه والهلالي يقول: «أحاله الله سماً ولا أشبع لك بطناً، ويحك ما الذي دعاك إلى نقض العهد ومخالفة أوامر الحكّام. فقال: حملني على ذلك الجوع وحب الطعام. فقال له الهلالي: ولم لا تذهب إلى بلدك؟ فقال له: أنا عندك ضيف، فهل رأيت

أو سمعت من يطرد الضيف؟ . فقال: يطرد إذا كان ثقيلاً مثلك . فقال له الشيخ: لو كنت في بلدي كنت ترى ما أفعله معك من الإكرام في مقابلة طردي . فقال الهلالي: ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، معاذ الله أن أحلّ ببلدة أنت فيها ولكن لا بد من سفرك أو تقوم بيني وبينك فتنة لا خير فيها فلا تدعني أتسبب في أذاك» .

فقال له الزيني: «أنا أرحل عنك، ولكن بشرط أن تشبعتني من هذا اللحم ما يكفيني إلى بلدي» . فقال له وكم يكفيك؟ فقال: «لا أقترح عليك الذي تسمح به . فقال: يكفيك نصف رطل، وكان قوله مبالغاً ظناً منه أن يقول له كثير لعلمه أنه أكل قبل مجيئه أوقيتين أيضاً، فقال الشيخ مصطفى: نصف رطل قليل لو زدت عليه مثله ربما يعد ذلك مشبعاً» . فقال الهلالي أستعين على جوعك بالله وتقول قليل أنت كل ما أمرت لك به، وإن لم تشبع زدناك ثم أمر القصاب فقطع له نصف رطل من اللحم وأكثر فيه من الدهن بإشارة الهلالي ظناً منه أنه يعجزه عن أكله فأكله الشيخ مصطفى حتى أتى على آخره مع ثلاث أواق من الخبز، والهلالي ينظر وقد ذهل لذلك وقال له: لعلك شبت فقال لا والله إنما أسندت بطني بهذا ليقوم بي إلى حين ما نتعشى، فقال الهلالي: «كثرة الأكل للبقر لا للبشر» . فقال الشيخ مصطفى: «ما في بأس أليست تجمعنا الحيوانية، فتعجب الهلالي من سرعة جوابه ثم قال له: هات أسمعني ما قلت في معارضتك على القدر الذي نظمته» . فأسمعه إلى أن بلغ إلى حد قوله:

وكماج^(١) الخاص يؤدم مع قبوات ملاح

فقال الهلالي وقد نما غيظه قف يا حمصي قد نشأ عليك اعتراض إما أن تأتي منه بمخرج أو تتوب عن معارضتي، وإن خرجت منه لا حجر عليك بعد اليوم، فقال له الشيخ مصطفى: ما اعتراضك؟ فقال له: لم لا قلت مع قبوات

(١) الكماج: الخبز.

صحاح عوضاً عن ملاح فيكون أرشق منه، فقال الزيني: لو أجبك ها هنا من يشهد عليّ وعليك ولكن والله لا يكون الجواب إلا أمام جمهور من الأعيان من علماء وأدباء ليشهدوا عليّ وعليك ويحكموا للغالب ولا بد في هذا اليوم ما أفضحك وأبين قصور فهمك، فإن الناس بك مغرورون، وإن أنا قصرت في الجواب فأنت محكم في بما شئت. فرضي الهلالي ثم نقد ثمن اللحم للقصاب وسار الاثنان.

وكان في ذلك اليوم الأعيان مجتمعين في منتزه على العاصي بصحبة المتصرف وهم يتذاكرون قصة محاكمة الهلالي وزين الدين في اليوم الماضي ويتعاودون دعوى الحكم ودفع الشيخ مصطفى ويضحكون وإذ بالاثنين مقبلين فتلا بعضهم قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَا يَكُنُّ اللَّهُ أَلْفًا﴾^(١) الآية. فأجاب الهلالي فوراً: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾^(٢) الآية. ثم نادى:

يا قوم لا إلفة اليوم بل تجديد حرب فإن هذا نكث وخان الأيمان، فقالوا له: وماذا فعل؟ فقال: أما تاب البارحة أمامكم عن معارضتي؟ فقالوا: بلى، فماله. فقال لهم: فهذا اليوم نقض التوبة وعارضني في قد نظمته من مدة يسيرة. فالتفتوا إلى الشيخ مصطفى وقالوا: ما الذي حملك على ذلك؟ فقال: سلوه ألهذا جئنا أو لشيء آخر. فسألوا الهلالي فقال: أنا وجهت على كلامه اعتراضاً وأشرطت على نفسي وعليه أنه إن أجاب بما فيه الإقناع لا أحجر عليه بعد اليوم بل يكون ماذوناً مني بمعارضتي، وإن لم يجب فلا أتركه حتى يحلف بأعظم الأيمان من طلاق وعتاق أنه يتوب عن معارضتي ما عاش ثم إنه أخبرهم بما اعترض عليه من قوله في آخر الدور:

وكمـاج الخـاص يؤدم مع قبوات مـلاح

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧.

بأن لو قال صحاح لكان أرسق باللفظ وأنه لا مناص له عن الحجة وإلا يكون عنده وجه يرجح لفظ ملاح على صحاح فسألوا الشيخ مصطفى فقال: نعم كان ذلك. فقالوا: أنه يطلب منك الجواب أو التسليم والإقرار بالعجز فقال: عندي جواب ولكن راجعوه بالتأكيد إن كان يرضى بالشرط فقال نعم رضيت فهات ما عندك فقال:

غير خافٍ على حضرات الأعيان، أن كل إنسان ميسر لما خلق له وهذا الرجل اعترض على صنعة لا يعرفها، ولا وقف على قوانينها، وعلم حدودها ومراسيمها كما لو اعترض عليه أحد بشيء من أنواع البلاغة وعاب عليه شعره مع أنه ممن تعرفوه ممن لا يشق له في هذه الصنعة غبار ولا يجارى في مضمار أفلا يكون ذلك إساءة وفضولاً؟ فقالوا: نعم فهات ما عندك وقم بحجتك. فقال: أجل ألا ترون لو قلنا قبوات صحاح كما يقول كان تعبيرنا بلفظ عام وهو يتناول ما دون المكسور لكن أعم من أن يكون حشوهنَّ رزاً ولحمأً وسنوبرأً وسمناً على غاية من الإتقان أو يكون حشوهنَّ برغلاً أو ذرة كما يفعله الفقراء وحينئذ تجتمع فيهم الصحاحه دون الملاحة وأما لو قلنا ملاح فهو لفظ خاص لا يتناولهم إلا في غاية من الإتقان كحشي اللحم والرز والقلوبات وقلأ السمن والدهن وإذا كانوا على هذا الوصف وهو المراد كما إليه أشرنا فلا يهمنا حينئذ إن كانوا صحاحاً أو غير صحاح. فأين كلام الهلالي مما قلته وشرحته؟ أفلا خرجت من هذا الاعتراض؟

فصفق الحاضرون وانقلبوا ضحكاً وقالوا: أي والله خرجت وعلم الهلالي أنه غلبه أولاً وآخراً، فقام وقد اشتد به الغيظ وحلف لا يبيتن الشيخ مصطفى تلك الليلة أو يقتل نفسه أو يقتله فعندها لطفه الأعيان وأمروا الشيخ مصطفى بحماه بالسفر بعدما جمعوا له جائزة وفيه، فقال: والله لا أسافر إلا على شرطين: الأول أن أتعشى على هذه السفرة^(١) من هذه الألوان الحاضرة والثاني أن يقوم بأود

(١) السفرة: ما يوضع عليه الطعام.

سفري الهلالي من أجرة دابة وتشيع .

فقال الهلالي : أما أدوات السفر والدابة فأنا أقوم بها ولكن ما الحاجة إلى الأكل وقد أكلت ثمانية أواق من الخبز ومن اللحم نصف رطل عدا ما أكلته أولاً مما يقوم بعشرة من الجياع ، ومتى هضم معك هذا الأكل لا أكلت بعد اليوم .

فقال : وما يدريك أن ذلك الأكل تسبب لي بالجوع لقلته ، فضحك الجماعة ثم حضرت السفرة وصفت الألوان فأكل الشيخ مصطفى مع أول زمرة ثم قام في الثالثة بعد الخدم والأتباع ثم ودع الجماعة وسار مع الهلالي ليشيعه ومعهم بعض الجماعة ليروا آخر القصة فاستأجر له الهلالي دابة وأعطاه شيئاً من الزاد ولم يطمئن على سفره حتى رآه خارجاً بصحبة القفل ، فقال اذهب فلا أراني الله وجهك بعد هذا اليوم . فأجاب الشيخ مصطفى وأنت لا أسمعني الله نظمك بعد هذا اليوم .

فقال الهلالي لمن حوله : انظروا إلى مكر هذا الرجل فإني دعوت عليه بأن لا يريني الله وجهه فيحتمل أن يعيش كل منا ما شاء الله ولا يرى الآخر ، وأما قوله لا أسمعني الله بعد هذا اليوم نظمك فهذا لا يكون إلاً بموتي وانقطاع خبري فينقطع عنه سماع نظمي أيضاً كون أن النظم يحمل من أمكنة بعيدة ولا ينقطع إلاً بموت الناظم وتالله ما غلبنى مثل هذا أولاً في برودة قلبه وطولة باله ، وثانياً في بديهية جوابه ، ثم رجع وهو أفرح الخلق بإبعاده عنه .



نَهْرُ الزَّيْنِي

وأما وقائع الشيخ مصطفى زين الدين في الأكل ومناقبه بالشرافة فما لا يحصى لها عدد ولكن نقتصر على أكبرها وأشهرها خشية التطويل الممل .

منها سفرة (عيفير) وهي قرية تبعد عن حمص مسيرة نصف يوم إلى جهة الشرق وذلك حيث كان حضرة صاحب السعادة دروبي زاده عبد الحميد باشا مأموراً على الأراضي السنية الشاهانية من قبل السلطان عبد الحميد فصنع أولاد الباشا سيراناً حافلاً بتلك القرية ودعوا أخصاءهم وأقاربهم فلم يتركوا شيئاً من الاستعداد إلا قاموا به أحسن قيام وأخذوا بعضاً من المغنين والمطربين ودعوا الشيخ مصطفى فأجاب بكل رغبة لأنه خبير بما يتهيأ عندهم من الاستعداد وكثرة الأطعمة التي تحلو لذوقه وسار الركب بعد ما أركبوا الشيخ مصطفى بغلاً قوياً وأردفوا خلفه رجلاً كفيفاً يقال له إبراهيم شما إلا أنه كان ظريفاً لطيفاً صيتاً وسار الجماعة حتى توسطوا البرية وهبت عليهم نفحات تلك الأزهار ورأوا حسن ذلك الربيع الذي قام بتلك البراري، وتموج تلك الزروع بتموج الهواء فكان الناس من ذلك يعجبون وللخالق يسبحون ويتفاضون أحاديث بهجة الربيع وحسن أيامه واعتدال هوائه وكان الشيخ مصطفى في غير ذلك الصدد وليس له التفات لما به يعنون وإليه يشيرون ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فكانت مسامرته مع المردوف خلفه كما نقل وهو أن قال له يا إبراهيم فأجاب: نعم، فقال له: يا هل ترى أهل القرية التي نحن سائرون إليها عندهم علم بمجيئنا وهل ذبحوا لنا الذبائح وهيئوا الألوان؟ فقال إبراهيم لا بد وإن لم يكن عندهم علم فمعنا ما يكفي فيصنعوا لنا من هذه الخيرات التي هي سائرة على ظهور الجمال من أرز وسمن وسكر ودقيق وخضر وغير ذلك. فقال الشيخ هذه أمور بعيدة نحن نصل القرية

جياً ثم ننتظر حتى يهيئوا لنا الطعام، فربما تأخر عشاؤنا إلى الساعة الثالثة بالليل فقال إبراهيم فأنت كيف تريد أن يكون الأمر، فقال له: أريد من حين وصولنا يكون الطعام على النار قد نضج من الخرفان والأرز وغير ذلك فما نجلس هنية بمقدار ما نأخذ راحتنا إلا وتمد السفرة وندعى إلى الأكل فقال إبراهيم وما يدريك لعله يكون كما ذكرت فسكت الشيخ مصطفى.

ثم سار قليلاً والناس خايضون في أحاديث الأراضي والقرايا والزروع فالتفت الشيخ مصطفى إليه وقال له: يا إبراهيم، فقال: نعم، فقال: يا هل ترى إذا بلغ العرب وأهل القرايا القريبة مجيء أولاد الباشا أما يحملون إليهم الخرفان والسمن والزبدة والقشطة والقيمق والحليب تقريباً لقلوبهم؟ فقال الشيخ إبراهيم: هذا شيء مؤكد يا شيخ مصطفى وسوف ترى ما يتدفق علينا من الخير فلا شك أنت بهذا السفرة لا تشكو جوعاً أبداً فقال الشيخ مصطفى حقق الله ما قلت يا شيخ إبراهيم.

ثم سار قليلاً والناس في ضحك ومزاح وغناء ومسامرة والشيخ مصطفى التفت إلى الشيخ إبراهيم وقال: «يا شيخ إبراهيم، فقال: نعم، فقال: أنت من جيران الجماعة ومن أخصائهم فلا بد أن يكون عندك علم، يا هل ترى ما أنواع الحلو التي استعدوا لها بهذه السفرة أيكون معهم بقلادة ومعمول وشعبيات أم لا؟ فقال إبراهيم: بلى عندهم السم الخارق الذي يهري أمعاءك ويخلصك من هذا الجوع الشنيع الذي لا تنفك تشكوه وتهجس به ليلاً ونهاراً». ثم زعق الشيخ إبراهيم بملء رأسه:

يا قوم أدركوني وأنزلوني من خلف هذا البارد وخلصوني من بلادته وشكوى جوعه. فقال له الجماعة: مالك يا شيخ إبراهيم، فقال لهم: يا قوم أنا رجل كفيف ولما أسمع منكم تصفون حسن الربيع والرياض والزهور أصغي بسمعي وألتذ كأي مشارككم في النظر وهذا رجل بصير لا يعطي النظر حقه من التمتع بحسن هذا الربيع والرياض وما همه غير الأكل والشرب والغدا والعشا

والألوان وخوفه أن يبات جوعان ثم أخبرهم بالقصة فتزايد ضحك الجماعة وسرورهم، وقالوا: ليكن مبسوطاً الشيخ مصطفى فإنه لو كان مدة عمره ما شبع من طعام ففي هذه السفرة يشبع.

ثم ساروا على مثل ذلك يقطعون الطريق والشيخ مصطفى يقول للشيخ إبراهيم: ويحك ما الذي جرى عليك فضحتنا بين الناس وأنا أتكلم بيني وبينك سراً، فقال له: وأنت ما الذي جرى لك ما كنت تخرج عن سيرة الأكل والطعام وكان وصولهم للقرية قبل الغياب فوجدوا طعاماً مهيناً وأخرجوا ما معهم فكان يكفي جيشاً فأكلوا وشربوا القهوة والشاي وكانوا قد تعبوا من المسير فناموا بقصد الراحة إلى الصباح.

فلما انتبهوا واصطحبوا في ذلك اليوم قام أحدهم فتكلف صنع الشاي والقهوة وسقى الجميع وحضر الحليب المغلي فوضع بين أيديهم وصب لكل واحد زبدية تسع نحو أوقيتين وثلاث كعكات وقطعة جبن مقدمة بينما يتهيأ الفطور وبالوقت ذبحوا خاروفاً وباشروا بالطبخ وتنظيم الطعام.

ذكر لي من أثق بكلامه ممن كان حاضراً ومشاهداً وقد تواترت هذه القصة عن جميع من كان حاضراً إلا أنه ربما تطرق إليها زيادة أو نقصان فرأيت هذا الخبر أصدق لاتفاق جماعة عليه وهو أن القوم لما شربوا الحليب كان ممن امتنع عن الشرب أربعة فدفعوا كل ما خصهم إلى الشيخ مصطفى فشرب الجميع فكان ما شرب نحو أوقيتين وهو رطل شامي عدا عن الكعك والجبن ثم التفت الجماعة إلى حظهم وأما الشيخ مصطفى فإنه بعد ساعة ذهب ليسيير ليهضم ما أكل من الكعك والحليب خشية أن يتعطل عليه الفطور وبينما هو يتمرج بين تلك الزروع إذ ثقل رأسه وحصل له دوخة وصعد بخار الحليب إلى رأسه فاشتهد النوم ورأى وهدة بين تلك الزروع لم تدركها الشمس بل بها بقية ظل فنزل واضطجع بها ونام.

وبعد مضي ساعتين طلع الفطور ومدت السفرة وكانوا قد صنعوا دفيناً

وبرغلاً وجاءت الصحف مترعة باللحم وفرش الخبز وصنعوا لهم أيضاً بيضاً مقلياً
فصف في الصحون ولبناً عريباً في زبادي ثم دعوا إلى الطعام وافتقدوا الشيخ
ما رأوه فأرادوا الانتظار فقال بعضهم الطعام لذته بحرارته ومتى برد فسد هلموا
وكلوا الخير كثير وفي أي وقت أتى الشيخ يأكل، فاستصوب الجماعة الرأي
وتقدموا أكلوا وأكل بعدهم الخدم والأتباع والفلاحون.

وبينما رجل منهم ذهب لقضاء حاجة إذ عشر بالشيخ مصطفى في تلك
الوهدة فنادى يا قوم حظينا بالشيخ، ثم أيقظه وقد لفحته الشمس وأخبره أن
الفظور ذهب من يده فقام الشيخ مذعوراً متأسفاً وانطلق يجري إلى محل السفارة
فاستقبله الجماعة ولاموه على الغيبة فقال: كفوا يا قوم قدر فكان ولكن أما أبقيتم
لنا شيء؟ فقالوا: بلى هذه بعض مناسف البرغل وعليها بقايا من اللحم وذلك
بقايا من البيض المقلي واللبن وإن لم تعجبك هذه الفضلات شويها لك من اللحم
ما يكفيك فهذه الخرفان ذبحت لتهيئة طعام العشاء، فقال: يا قوم أما شوي اللحم
لا بد منه لأعوض ما فاتني من اللحم المطبوخ وأيضاً هذه الفضلات لا غنى عنها
فإن الفضلة للفضيل وفي جبرها الثواب الجزيل دعوني أتسلى بها بينما يشوى
اللحم.

ثم جلس على السفارة فرأى في كل صحن بقية من الطعام ورأى الانتقال
من صحن إلى آخر يصعب عليه فقال يا قوم الأكل واحد والصحون متعددة هذا
لا يكون اجمعوا لي هذا الطعام في منسف واحد، فأخذوا يجمعونه حتى صار
منسفاً كبيراً وبقي من البيض المقلي في كل صحن بقية فقالوا: وهذا ما نصنع به،
فقال: اجمعوه فوقه فجمعوه والقوم في ضحك زائد، فقالوا: هلم نضع لك اللبن
فوقه أيضاً فإنه متفرق فقال لا بأس فوضعه وقال له بعضهم أنت ملزم بتصريف
هذا جميعه لأنك أشرت بتخليطه وغيرك لا يأكله بهذه الصفة فقال يهون الله، ثم
إنه شمر عن ساعده وبدأ يأكل.

ذكر من حدثني وهو صدوق أن الطعام الذي جمعه يكفي اثني عشر رجلاً

وقال آخر يكفي خمسة عشر رجلاً وصدقه على ذلك جماعة وحيث أكل نصف الطعام أدركوه بأوقية من اللحم المشوي فأمرهم بوضعه فوقه فوضعه وجد في الأكل حتى لم يبق إلا القليل وكاد أن يتوقف والجماعة يحثونه على الفراغ وإذا ببعض الفلاحين قد أتى ومعه علبه من الحليب فرآه الشيخ فنأدى: يا قوم أدركوني بزبدية من هذا الحليب أستعين بها على تصريف بقية الأكل فإني أشعر أن الأكل وصل إلى حلقي وما بقي له مكان فملاً بعضهم زبدية، وقال: انظر هذا الحليب الصافي البارد والله لن تذوقه حتى تفرغ من هذا الأكل فقال حسبنا الله ثم جد حتى أتى على آخر الطعام ومسح الصحون والمناسف وشرق الألبان والجماعة وقوف على رأسه وقد تزايد ضحكهم وعجبهم.

وقد أقبل بعض الأعراب بعلبة من القشطة ووضعها بين أيديهم ونظرها الشيخ فاشتهاها وقال ناولوني من هذه قطعة أغسل بها فمي بعد هذا الطعام فاقطع أحدهم نحو ثلاث أواق ووضعها في أربعة أرغفة، وقال: انظر هذه القشطة التي تحاكي لون بدر السماء صفاء والفضة بياضاً والمسك ريحاً لكن والله لا تذوقها حتى تشرب هذه الزبدية الحليب، فقال: هاتوها نستعين بالله فأعطوه إياها فوضعها على فمه ولم يرفعها حتى أتى على آخرها ورمى بها إليهم فارغة فناولوه القشطة والخبز بعد أن وضعوا عليها شيئاً من مسحوق السكر فأكلها حتى أتى على آخرها، ولكن ما فرغ منها حتى ضاق نفسه وكاد أن يهلك، ولما تضايق وشعر بالأذى أراد القيام فلم يقدر بل وقع على جنبه وصار كالذن العظيم أو البرميل الملقى فأتى إليه اثنان من الجماعة واحتملاه من تحت إبطه حتى أوقفاه ومشيا به خيفة عليه وصارا يسيرانه يميناً وشمالاً حتى تمكن من المشي وحده فأمره الجماعة بالركض على ذلك المرج نحو ساعة ليحصل له الهضم فصار يمرح كالفرس الجموح يميناً وشمالاً ثم جلس مع الجماعة وشرب القهوة وأقام ساعتين صعد البخار لرأسه فنام داخل الخيمة ولم يبعد في البرية خيفة أن يذهب عليه العشاء إذا لم يروه ورجع الجماعة إلى حظهم وكل منهم يظن أن الشيخ ما بقي بعد ثلاثة أيام يشتهي الأكل أو يطلبه.

ولما كان العشاء وضعت السفرة وعليها الخرفان المطبوخة والرز والشاكرية وبعض أشكال من الخضر وإذ بالشيخ جلس في أول الناس فأكل أول فوج عشرة ثم قاموا بعد الشبع وجلس غيرهم ثم قاموا وجلس الخدم والأتباع والفلاحون ثم قاموا وقام الشيخ في آخرهم ثم جلسوا على سفرة الحلويات من الرز بحليب والألماسية والشعبيات فذكر من شاهد أنهم عدوا على الشيخ مصطفى ثلاثين شعبيية عدا عن أكله من الألماسية وغيرها، ثم لم يزل أكله على مثل ذلك إلى آخر السفرة وهذا أعظم ما شوهد من أكله فسبحان القادر على كل شيء .

ومن نوادره بالشراة أيضاً مما يضارع هذه القصة أو يقرب منها وهو ما حدث عنه جماعة وحدث هو أيضاً عن نفسه أن أناساً أتوه فدعوه إلى سيران^(١) على نهر العاصي وكانوا من الأعيان فأجاب، وعادة الخروج من الساعة الثامنة من النهار، فيفرشون على ضفة النهر وينسطون إلى المساء يضعون ما معهم من الطعام سواء طبخ هناك أو طبخ في البلد وأخرج مطبوخاً ولما تهيأ الشيخ للمسير أتاه جماعة آخر فعزموه على ختمة وهي حسنة تصنع للأموات وعادتها من العشاء الأخير إلى الساعة الثالثة بالليل ويصنعونها بعدها الطعام والحلويات فأجاب الشيخ إليها وهو فرح بذلك ثم لم يلبث أن أتاه جماعة آخر وعزموه على مولد فأجاب وكان المولد يصنع من الساعة الثالثة بالليل إلى الساعة الخامسة ثم يضعون الحلويات والشرابات ولما أجب الشيخ وهو فرحان بذلك الاتفاق حيث أن كل دعوة متأخرة عن الأخرى بالتصادف من دون تصنع فبادر إلى الذهاب إلى السيران لثلاث تآتية أعزومة أخرى مكررة مع هذه الأوقات ولا يتمكن من المسير إليها فيتأسف على فواتها ثم قضى مع جماعة السيران إلى المساء ووضعت السفرة وضعوا عليها خروفاً ورزاً وكوسجاً محشياً وغير ذلك من الخضر فأكل معهم حتى اكتفوا وقاموا وقام الشيخ بعدهم بعدما مسح الصحون والأواني وأكل من سفرة الحلويات فأتى على باقي الصدر بعد فراغهم ثم نزلوا من السيران وكان وصولهم

(١) سيران: نزهة.

بعد العشاء فسار الشيخ إلى محل الختمة فوجد القراء والمشايخ والحفاظ قد قاربوا الفراغ فمضى إلى حين الفراغ وكانت الساعة الثالثة والنصف من الليل فوضعت السفرة وعليها الأشكال من شاكيرية ورز وكبة صينية وباذنجان فأكل الشيخ وقام في آخر الناس وإذ قد وضعوا رز بحليب مسكوباً في الصواني عوضاً عن الصحون فصغرت عين الشيخ لأنه قد أسرف في أكل الزفر ثم إنه رأى أن لا بد له من الأكل ولو مات ولا يكون عليه متحسراً فأكل حتى قام في آخر الناس ومسح الصينية ثم خشي أن يخرج من يده المولد فبادر مسرعاً لكنه في غاية التعب وعرقه ينضح كالسيل وكان قد قرىء منه فصلين فجلس إلى ناحية من المنشدين وقراء المولد فرأوا عرقه وتعبه فسألوه عن حاله فحكى لهم وقال أنه ما ضايقني إلا تلك الصينية بالرز بحليب فضحكوا وقالوا ضيقت الحزم ولم تكن حكيماً يا شيخ مصطفى أتقدر تأكل من سفرة صاحب المولد، فقال: ما أظن وأخاف على نفسي فقالوا ألا كنت تقسم بطنك بين هذه الثلاث مواضع كي لا تحرم من واحد منها وهذا صاحبنا صنع خيراً كثيراً لأنه مشهور بالتبذير والإسراف والكرم.

ثم ختموا المولد ووضعت السفرة وقام الجماعة للأكل والشيخ معهم لكنه غير طيب النفس غير أنه أراد أن ينظر الألوان ما هي ويميزها ولما رأى تلك البقلاوة التي كأنها قطع البلور المطلية بمذاب الياقوت والكلاج^(١) الذي كقطع الشاش والكنافة والجبن يلمع من بين طبقاتها والمعمول وكشك الفقراء والألماسية والمهلبية والمفروكة والمجدولة والمدلوقة والمأمونية وحلاوة الرز، فوقف متحيراً وقد ندم على ذهابه إلى الختمة وقال في نفسه لو كنت مقتصرراً على السيران لكان أولى لأن الأكل من المغرب إلى الساعة السادسة بالليل^(٢) ينهضم ويضمحل ولو كان صخوراً.

(١) الكلاج: نوع من الحلوى.

(٢) وقت المغرب حسب التوقيت الغروبي هو الساعة الثانية عشرة.

وكان بعض أولاد الفن من الذين أخبرهم بأمره قد لاحظ عليه الندم ووقوف نفسه فقال له: ليتك ما جئت يا شيخ مصطفى ولا أصابتك هذه الحرقه لأنك قد حسبت على صاحب المحل أكلاً والحال أنت لم تقدر على الأكل فزاد قهر الشيخ مصطفى وقال لمن حوله: يا جماعة ودعوا أخاكم مصطفى فانا أعلم أني بعد هذه الليلة لا أعيش ثم إنه جلس على السفرة ودعا بماء فشرب منه قليلاً وبدأ يأكل حتى قام جميع الناس وهو باقي على حسب عادته ثم إنه أراد القيام فما قدر حتى أخذ اثنين بضمعه وأوقفاه ثم أخرجاه من المحل وهو يتوكأ عليهما حتى أوصلاه لبيته وثاني يوم قام كأن لم يصبه شيء مع أن الناس جميعهم توقعوا ضرره ومرضه وهذه أيضاً من أهم مناقبه وأشهرها.

ونواده رحمه الله ومناقبه في ذلك لا تحصى ولا يجمعها مجلد ضخمة لأن له كثيراً مثل ذلك جرى له في الشام وطرابلس وحماه وأينما سار من البلاد فإنهم يقترحون عليه مثل ذلك لصيته وشهرته وقد أتينا منها بما فيه المقصود من هذا الموضوع واللييب تكفيه الإشارة مع ما فيه فإنه كان رحمه الله في غاية من العفاف وشرف النفس وصحة النظر وحسن الذوق واللطف ومعرفة طبائع الناس وأوضاعهم وقد شوهد كثيراً إذا جلس مع الناس في الولائم على موائد الطعام يقوم قبل الناس أو مع الناس في غاية الرقة من غير ثقالة وأما إذا رأى الخير كثيراً والمضيف كريماً وطلبوا منه أن يأكل جهده فإنه يفعل ما ذكرنا ولا يقصر بخلاف ما إذا كان ذلك الطعام مصنوعاً على قدر الجماعة فإنه لا يرغب أن يسود عليهم.

ثم انثلت معدته وقلّ أكله قبل موته بنحو خمس سنوات حتى إن الطفل يأكل أكثر منه وفي مرض موته استقام ثلاث شهور على كأس من حليب في كل يوم فسبحان من يغير ولا يتغير.



فَصَلِّ فِي مُعَارَضَتِهِ الْقَصَائِدِ

وقد وعدنا سابقاً أن نصدر هذا الفصل في خطبة له في الأكل التزم فيها ذكر أهم المآكل والألوان ولنذكر أولاً سببها فإنه رحمة الله عليه لم يتعرض لشيء بدون سبب وذلك أنه كان في عصره رجلاً مشهوراً من أهل الأدب واللفظ وكان شاعراً ذكياً مجيداً من أهل وطننا يقال له الشيخ عمر العقاد وكان قد اخترع خطبة غزلية تفكّهة لأولي الأدب وهي في غاية اللطف فأتى بها إلى الشيخ مصطفى واقترح عليه معارضتها فعارضها بهذه الخطبة ولا بد من ذكر خطبة العقاد أولاً للمقابلة .



خطبة الشيخ عمر العقاد

الحمد لله الذي زين الخدود بكواكب الشامات العنبرية. وسيرها في قلوب
المتيمين بكرة وعشية. وأطلع بقدرته فوقها شمس الأعين البابلية. فسبحانه من
إله أودع من الرشاقة في القوام والعذوبة في الكلام ما يستحق عليه الشكر ما دام
الروض من السحائب رويًا. أحمده حمد من قدم محبوبه بعد الهجران إليه. وقبل
وجنته ورشف شفثيه. وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة اتصل بها إلى الحبيب.
وأرتع في ميادين الوصل والطيب. اللهم فصل على هذا النبي المؤيد. والرسول
الممجد. ما وصل محب الحبيب. ومات العزول وغاب الرقيب. وسلم تسليمًا
كثيرًا. أما بعد أيها الولدان فما لكم من المحبين تنفرون. وقلوبهم بالصد
تقطعون. أتظنون أنكم على هذه الحالة تدومون. والخدود منكم لا يتغيرون.
هيهات هيهات سوف تنكرشون وتنشفون وتجرمون. ألم يعظكم النظر إلى من
كان قبلكم ممن كانوا يفوقون الحور والبدور. كانوا يفتنون الناس بسحر الأحاظ
ورقة الخصور. ثم نزل بالخدود الشعور فتركهم هباء منثور. وناداهم مناد أين
القدود العالية؟ أين العيون الماضية؟ أين الخدود الخالية. أين الذين فتنوا
العشاق؟ أين ذوي القدود الرشاق؟ أين الذين إذا غابوا عن مجلس أوحشوه
وأعتموه؟ أين الذين إذا فارقوا المحب هيموه وتيموه؟ ودارت عليهم كاسات
الذقون فأسكرتهم بعد عزمهم. وألجأتهم إلى عجزهم. جعلني الله وإياكم ممن
دامت عليهم المرودية زماناً طويلاً. ولا جعل للذقن عليه سيلاً. واعلموا
نفعي الله وإياكم يا ذوي العيون الصحاح. على ما حويتم في الثغر من الشهد
والراح. أن زمان المرودية زمان طيب جيد فاغنموه. وأن زمان الخشونة مكروه
مذموم فاحذروه. وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمسلمين.

مُعَارَضَتَهَا

للشيخ مصطفى وقد زاد عليها خطبة ثانية
وهي المشتملة على الدعاء والترضي وما أشبه ذلك

الحمد لله الذي جعل لنا اللحم السمين أكله ذكياً. وأبعد عنا اللحم الضعيف بعداً قوياً. وجعل لنا من الضأن محشياً ومشوياً ومقلياً. نفعني الله وإياكم إذا كان على الرز السوافل بالدهن مقلياً. وتزاحمت الأيدي على الصحون غياً بعد غيا. ونزلت فارغة وجاءت ممتلياً. فإذا كان المسكين جائع. نزل بالكف والأصابع. فأصابه تطمس. وأشداقه تغمس وذقنه ترقص. وأسنانه مصلياً. متظراً لمن يناوله من الكبة الصينيا. فيصف بعضهم فوق بعض. بالطول والعرض. فسبحان من يسرّ لنا هذا بكرة وعشيا. وأطعمنا أنواع المآكل من اللحوم والكباب المحشيا. فإذا برزت الصحون ونظرت العيون وهاشت البطون وتحركت الذقون وسبقك رفيقك بلقمة فألكمه لكماً قوياً. نحمده سبحانه وتعالى على ما أطعمنا من السكر والعسل النحليا. وأبعد عنا الهيظليا لأنها تعمل في القلب زغليا. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله خصنا بالحلاوة القرعيا. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نهانا عن كل أكلة رديا. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأكولات بالصحون ممتليا. أما بعد أيها الناس لا تأكلوا أقراص. وكلوا سنبوسك أطرى لكم على الأضراس. واعلموا أن القطشة بالعسل قربها مليح. وبعدها قبيح. والفظور منها يقطع الريح. ويخلي الأبكم فصيح. ولا بأس إذا كان السكر فوقها سطيح. أبعدها الله عن كل بخيل وشحيح. وقرّبها لكل من كان سخياً قلبه صحيح. ووجهه صبيح عباد الله أكل الطيب الصالح يذهب الكسل. ويداوي القلب الجريح من العلل.

فبادروا رحمكم الله بأكل التفاح المخضب . والسفرجل المكعب . والتين المكتب . والعنب المطيب . فعمّا قليل تنسكب الأمراق بالقصع الغماق . وتشخص نحوها الأبصار والأحداق . وتأتي الهرايس . ومن فوقها السمن مائس . فحيثُ تزدحم المجالس . وترى القوم بين قائم وجالس . وضاحك وعابس فاجتهدوا رحمكم الله بأكل اللحوم . وانتهوا عن أكل البصل والثوم فإنه يورث الأرياح . ويبكم الألسن الفصاح . واجتنبوا رحمكم الله أكل المغلظات . مثل الملفوف واللفت والجزر والكرات . وميلوا كل الميل على الأكلات الطيبات . مما نوع من المحاشي من القرع والكوسج والباذنجان والكمات . وهموا باصطناع القبوات والجقات . الذين هم بالسمن مقلبات . وباللحم والسنوبر محشيات ولا تنسوا الدجاجات المحمرات . والخراف الطريات . فإذا أكلتم وشبعتم فاشكروا الله رب السماوات . وفوزوا يا آكلي اللحم السمين بالنعيم المقيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي خصنا بكل أكل مفتخر . ونهانا وإياكم عن أكل اللفت والجزر . فإنه يعمي البصر . ويخلي القلب مثل الحجر . اللهم وارض عن العسل العتيق . إذا كان السمن له رفيق . فلا تكن في أكله شفيق . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن أبي بكر الصديق .

اللهم وارض عن شراب الجلاب . إذا شرب بعد الكباب . وكان مشوياً على نار ذات التهاب . فكل أنت واعزم الأصحاب . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن عمر بن الخطاب .

وارض اللهم عن الخرفان السمان المطبوخة بالدقة والزعفران . فأجلسهم في أعلى مكان . وكل منهم حتى يضيق منك المصران . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن عثمان بن عفان .

وارض اللهم عن السمن المحمى الذائب . إذا كان بيض الدجاج عليه

ساكب . فشمريديك وحارب . فإذا أكلت فترضى عن علي بن أبي طالب .
اللهم وارض عن القلقاس . المسكوب في صحون النحاس . فسن منك
الأضراس . وكل حتى تضيق منك الأنفاس . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن
الحمزة والعباس .

اللهم وارض على الحلاوة الحمراء . إذا طبخت على بكرة . فأحضرها بين
يديك إن كان لك قدرة . وكل أكلاً منها بالمرة . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن
السة الباقيين من العشرة .

اللهم وارض عن الضلع السمين . إذا كان في الرز دفين . وقد أبعد الله عن
المفلسين . فإذا حضر قدامك يا مسكين . فاجلس بالتمكين . وشمري الشمال
واليمين . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن بقية الصحابة أجمعين .

وارض اللهم عن الصدرين الكبيرين . اللذين هم بالبقلاوة والكنافة
معمرين . فإذا وضعوا قدامك فشمري اليمين . وبهلق العينين . وسن الضرسين .
واجعل يدك فيهم إلى الرسغين . فإذا أكلت وشبعت فترضى عن الحسن
والحسين .

اللهم يسر لنا البغاجات والكنافات ولا تحرمنا الأكلات الطيبات . إنك
سميع الدعوات . عباد الله إن الله أحل لكم المآكل الطيبات . فكلوا واعملوا من
الصالحات . قبل حلول الممات ، وقبل أن يرفسكم الجمل فتتدركلون .

تنبيه :

قد جرت عادة الشيخ مصطفى رحمه الله في كيفية المعارضة أن لا يعارض
إلا الأبيات الغزلية ويتجنب المديحية أبدأ مع أصحابها فإن جميع القصائد الآتية
في المعارضة تخلص بها إلى مدح الأكابر والأعيان وكذلك بعض القدود .



المعارضات

الفصل الأول

في القصائد

القصيدة

من مجالي سنا جمال النوري
للوفايا ذوي الصفا والحبور
داعي اللهو بين مرد و حور
قد سقاهم ساقى الشراب الطهور
غصان قداً ويا أجل أمير
يشتكي الكأس للعفو الغفور
أنها كانت قبل دور الدهور
شمساً أضاءت بها جميع العصور
لطفت فاخفت بمحض الظهور
لأعادت حياة من في القبور
ق قد أذنت بكشف الستور
حيث لا أدري غيبي من حضوري
د حدود وأقحوان ثغور

أسفر البدر عن صباح السرور
ومنادي الهنا ينادي هلموا
وأجيوا على سماع الأغاني
بين قوم على الدنان^(١) عكوف
يا ملك الملاح يا عدل الأ
جُد على القوم بالشراب إلى أن
خمرة عن الست تروي حديثاً
من ثريا عنقودها عصرت
هاتها من خلاصة الراح راحاً
قرقف^(٢) لو عادت وحيث رفاة
عاطنيها فهذه حضرة الأطلا
عاطنيها حتى بها أتلاشى
عاطنيها بين الرياحين من ور

(١) الدَّن: وعاء ضخم للخمر ونحوها، والدَّنانة: صناعة الدَّن.

(٢) القَرَقَف: الخمر.

المعارضة

واستوى الطبخ واستقامت أموري
أيها الجائعون خمص^(١) الخصور
في ضواحي الميماس بين الزهور
قد تبدت خرفانهم كالبدور
من يفي حق سعيك المشكور
يصعد الأكل في تراقي النحور
طعمها ريحه كما البخور
إذا غاب فهي براء الصدور
بيض عيفير لا وجسر الشغور^(٢)
منه سكري لا من كؤوس الخمر
من لحوم الخرفان لا من طيور
إن في أكلهم تمام سروري
لقراص يكفي ثلاث شهور

قذف الدهن من فواه القدور
ودعاة الطعام نادوا هلموا
وأجيبوا فها المدارج صفت
بين قوم على اللحوم عكوف
يا صديراً حوى الكنافة بصما^(٣)
أشبع القوم من سمونك حتى
سمنة من بني النعيم أتتنا
من غنيماتهم غتنا عن اللحم
هاتها واحمها وصبَّ عليها
صحفة تشبع الجياع وسمن
عاطنيها اقلي المقمَّع^(٤) فيها
عاطنيها اقلي القطايف فيها
عاطنيها وارمي الطحين عليها

(١) خَمَصَ البطن: خلا وضمير.

(٢) نوع من أنواع الكنافة.

(٣) جسر الشغور: بلدة قرب حلب في سورية.

(٤) وهي تشبه العجّة: وتصنع من البيض والطحين واللحم.

ومغن برقّة الشدو يغني
في رياض أريضة^(٢) ومروج
سيما والغصون من فوقها قد
ونديمي على المدام غزال
عن صرير السُنطير^(١) والطنبور
كبروج تزهو بزهر الزهور
رن صوت الهزار والشحرور
سلب الأسد طرفه بالفتور



وله من قصيد تخلص به إلى مديح أمين أفندي الجندي

بادر الأفراح في أدواح حان
مع بدور يحتسون الشمس في
في رياض وغياض أرضها
بنت كرم لو تراها تنجلي
ودواعي البسط مدت بسطها
هاتها تبراً مذاباً يكتسي
يالها بكر عجوز عانس
بشر؛ خمر وسحر طرفه
غصن بان خصره خنصره
إن شرب الراح في الأقداح حان
أنجم الكاسات من برج الدنان
كسماء بمصاييح تزان
بين ولدان لدى حور حسان
والأغاني من غوان في مغان
الكأس منها لون ثوب أرجوان
راح يجلوها ابن ست أو ثمان
عنه في بابل يروي الملكان
ظبي أنس ملتقاه أسدان

(١) آلة من آلات الطرب تشبه القانون، أوتارها من نحاس يُضرب عليها..
(٢) أَرْضَتْ الأرض: كثر نبتها، وحسن مرآها.

ويض الرز لامع بالنور
من زبرجد تحف في البلور
لبن جاء من عريب العمور
فوق بقل وذا تمام أموري

ودفين به كمية لحم
بصحاف حكمت سبائك قامت
سيما أن له يكون رفيقاً
ومعيني على المآكل خل



المعارضة

حيث جاء اليوم خرفان سمان
فاقتطع ما شئت واغنم لحم ضان
واكثر الدُّقَّة^(١) ثم الزعفران
ذات لون مورد أحمر كان
قبلنا لا تتبع هذا الزمان
بالصواني بعد ضرب وامتهان
وجهها بالفرن آنأ بعد آن
ذو محيّا منه قد ضاء المكان
أعجمي حاز لطفاً وافتنان

بإادر اللذات قد آن الأوان
مع أناس من بني عز أتوا
في قدور ودسوت فارمها
واقلها بالسمن حتى أن ترى
واحشها رزاً كما قد فعلوا
هاتها كبة هبر بسطت
يالها حمراء بالسمن انقلا
منسف الرز تبدى بعدها
متقن قد اعتنى في طبخه

(١) الدُّقَّة: التوابل، ما خلط بها من الأبخار.

قمر في ثغره عقد جمان
ما تثنى ما له في اللطف ثان
ومن الفرق يغار الفرقدان^(١)
آه لو منه شفتك الشفتان
وهواه هو ياء في الهوان
فتته في الهوى أي افتتان
طرفها الوسنان^(٢) رمح وسنان
تحت داج ليل شعر مشرقان
وبه للدر في المرجان صان
في بديع ومعان وبيان
دونها خوض دجى بحر عوان
أنها بالوصل عنقاء^(٣) الزمان

ما سواه إن بدا مبتسماً
مفرد قد جمع الظرف إذا
تستحي شمس الضحى من وجهه
أيها الملسوع من أصدائه
أنا راض من حبيب حبه
وفتاة كاعب كم ناسك
غادة من قدها الزاهي ومن
خدها الورد على غصن نقا
جل من في ثغرها أجرى الطلا
بحر حسن غرقت منه النهى
درة في صدف الخدر غدا
تطمع العشاق بالقرب على



(١) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً، ولهذا يهتدى به، وهو المسمى: [النجم القطبي]، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه، وهما فرقدان (المعجم الوسيط).

(٢) يقال: امرأة وسنانة: أي فاترة الطرف.

(٣) العنقاء: طائر متوهم لا وجود له.

لقبوه ياله طبخ مصان
عائم بالدهن من فوق الجفان
أنه ابن الكرم حقاً ذو امتنان
كم أتاك النهي عن تلك الصُّنَان^(٣)
قيل فيه أنه غرس الجنان
موسم يفرح فيه الثقلان
السمر أبغي لا ولا البيض الحسان
مثله محشٍ ولا من بيض جان
زارع فيها اعتنى أو زارعان
في سباق الأكل أفراس رهان
قطرها عينان قاما يجريان
فارتشفه واغْنَّ عن خمر الدنان

ما سواء صاحب النارين قد
يبرق^(١) ما مثله قوت بدا
يشبع الجم^(٢) غدا من صحنه
أيها المنفوخ من ملفوفه
أنا لا أنفك أهجوه ولو
وكمأة^(٤) تزهو في آدارها
سمرة فيها أجدت الوصف لا
أكلها محشية بالرز لا
جلٌّ من أنبتها في البر لا
صدر بصماء ويرماء^(٥) هما
سفرة حلواء من سمن ومن
والحليب الخاص بالرز استوى



(١) اليرق: ورق عنب بمحشي بالرز واللحم.

(٢) الجَمُّ: الكثير من كل شيء.

(٣) الصُّنَان: الثَّنُّ أو الريح الكريهة.

(٤) الكَمَّةُ أو الكمأة: فطر من الفصيلة الكمثية، تنبت في شهور الشتاء.

(٥) البرماء أو المبرومة: وهي أسطوانات من خيطان الكثافة المحشوة بالفتسق الحلبي تسوى

بالفرن على نار هادئة ثم يضاف إليها القليل من القطر.

ومما تخلص به إلى مديح محمد بك البارودي بقدمه إلى حماه

وردت أماني البشر بالأحباب
وأدارها الساقى على ندمائه
بجمال طلعة كوكب بقدمه
شرف حماة الشام فيه شرفت
أعني الشهير محمد الحسن أبا
المبتني للمجد بيتاً دونه
الله بارودي عزم صادر
حكم لديه تنوعت نقماً على
حق وصدق قوله بنعم ولا
أرض خلت من شخصه محل كما
غوث إذا استنجدته لملمة
سبحان من أولاه ما هو أهله
متحدث أبداً بنعمة ربه
يا كعبة الجود الذي من جلق

فشدت بلابل ألسن الترحاب
كاسات أنس لا كؤوس شراب
صبح السرور محادجي^(١) الأوصاب^(٢)
فرحاًبها أضحت أجل رحاب
سر الكمأة السادة الأنجاب
للنجم حكمة مطلع وغياب
عن بحر حلم بالوفا عباب
أعدائه نعماً على الأصحاب
فسواه بعد الله مين^(٣) سراب
أرض حلت فيه محل خضاب
غيث إذا استجديته لثواب
وحباه أرفع رتبة وجناب
متواضع لمواهب الوهاب
لبلادنا سارت مسير سحاب

(١) المِخْدَج: آلة يكوى بها الجمل. والجمع: محادج.

(٢) الوَصْب: الوجع والمرض، أو التعب والفتور في البدن. والجمع أوصاب.

(٣) المين: الكذب.

المعارضة

والنار قد ضرمت لشيّ كباب
أر مثلها ييري من الأوصاب
في علبة من حلة الأعراب
كاد يطفىء ساطع الإلهاب
عنا يرد الجوع بالإرهاب
عن سائر الأشحام والأعصاب
يحكيه ذو القرنين بالألقاب
جند كذا الأشكال كالحجاب
يعطي لذاذته بغير حساب
وبه يتم الخصب للأصحاب
سكري به لا من كؤوس شراب
سمناً حيث ليته كقطعة باب
من جوفه كُلامن الأجناد
بالجرن في أيدي من الأخشاب

وردت صحون الرز للأحباب
وأتى به الطباخ في صحف فلم
بمعية اللبن الذي جاؤوا به
قرع طويل فار منه الدهن حتى
أعني به اليقطين من سلاحه
المحشي في رز ولحم خالي
لله خاروف أتى في دستانه
ملك وفا كل الصحائف حوله
حق فهذا المشبع المروي الذي
صدر خلا عنه كأرض أمحلت
دهن به بالكأس منه فاسقني
سبحان من أعطاه بعد الهزل
متكفل في أن يشبع عسكرياً
يا كبة دقت بخالص هبرة

من وكفك الحسنى بغير حساب
هيهات ما دام النجوم طلابي
عذري وأنك سيدي أولى بي
بك شرفت وسمت على الأتراب
يزهو ولو غنى به الفارابي

وادي الحما من بعد حمص كفيته
هيهات أن أكفي علاك مدائحاً
هذا اعترافي بالقصور مقدم
وعن امتداحك أعربت عربية
والشعر بالمدوح لا بمجيده



وله من قصيد تهنئة بزفاف سليم أفندي قصاب حسن

بصرف تهاني لا بينت دوالي^(١)
مطالع سعد من جمال مجال
حلالي من الأفراح راح حلالي
مــــدام دوام لا زلال زوال
ملا لي أقداحي بغير ملال
رضاب وأنفاس الثقات غوالي
بإثبات إطلاق ووحدة حال
رقائق آثار شواهد عالي
مجال بنظم الشعر أي مجال
برود مباحات عقود لآلي
لكسب المعالي اختصه المتعالي

مدام التصافي يا نديم دوالي
وكوكب صبح اليمن أسفر عن سنا
إلى راحة الأرواح يا صاح رح وقل
ولا سيما الساقى علينا يديرها
بروحي فتى من راح أحداقه لقد
بمجلس إناس به طاب وقتنا
وحضرتنا التقييد عنا بها انتفى
مشارق أنوار حدائق بهجة
هنيئاً بها لابن الأنيس الذي له
شهود فصاحات عهد بلاغة
بها قصبات السبق أحرزها امرؤ



(١) يقصد ورق العنب أو ما يسمى بالبيرق.

نوعت يا مسيبة الأبواب
المقلي بلا مشوية بلهاب
تقطيعه حرج على الأجاب
بل يلتوي عن عشق ذات نقاب
شوقاً إليها لا إلى الأتراب

قد لذ أكلك للجياح بكلما
هيهات أنساك محمّرة على
هذا ومدك في الصواني ليس في
وعن المآكل ليس عزمي يلتوي
والقلب مولوه ودمعي سائل



المعارضة

فما الخمر في التحريم مثل حلال
كبدر بداجي الليل قام يلالي
ملا لي ما يكفي بغير ملال
لحوم حلوم لا عسال سعال
قلالي في سمن وليس قلالي
قلوباً فهم في حيرة وضلال
إلى الفاء لاح السر في الإبدال
من القرن جاءت كيف فيه نبالي
إلى الكرم يعزي جده المتعالي
وينت صدور ليس ذات حجال
ألذ ولا عودٌ وصوت موالى

من القطر كأس يا نديم جلالي
ومنسف رز جاء يسفر عن سنا
إلى كبة الألبان شوقي فطابخي
ولا سيما إذ جيء بالضلع بعدها
بروحي خاروف أتى فيه مسرعاً
بحضرة قوم أوجع الجوع منهم
ألا ترى لو للجوع حولت عينه
صحائف كبات صفائح لحمه
هنيئاً لنا والبيرق الذاكي عندنا
وجوه قدور لا بدور محاسن
ونقرة صحن بل وقرع معالق



وله من قصيدة يمدح بها محمد باشا اليوسف متصرف لواء حماه

ما الحسن في وادي حماة متم
متصرف فيما يشاء إذا قضى
يا من حماة الشام لابرحت به
لا كان يوم أنت فيه غائب
بصر جمالك قد خلا منه عمى
فارقتنا أرقتنا حتى إذا
فالحمد لله الذي بك عمنا
أنت النعيم على المحب وجنة
أهلاً بمن يلقاه واصلنا الهنا
ما العيد بالإفطار بل تاريخه
إلاً وفيه اليوسفي الأفخم
أمراً فذاك الأمر حكم محكم
أبهى عروس عن جمالك تبسم
عنا وغيثك مقلع لا يسجم^(١)
صبح بلا مجلاك ليل مظلم
جاء البشير صفا وطاب المغنم
إنعامه فهو الولي المنعم
أبدأ عدوك في لظاها يضرم
وحيال شهر صيامنا تتصرم
بمآبك العيد الجلي الأعظم



(١) سجم المطر: سال. ويقال: سَجَمَت السحابة الماء.

المعارضة

ما القطر في صدر الكنافة عائمٌ
كلاج فيه كل لاج حل في
يا صدر بصما كم برزت لحر به
لا كان يوم فيه لم أك ماسحاً
جيش خلا عني بمحضرك التوا
بادرتنا فاجأتنا فاصبر لكي
والحمد لله الذي بك قد جمعت
أنت الذي بالجبن جئت محمراً
أهلاً بمعمول أتى من فرنه
ما إن يُرى حلو كمثلك جيد

إلاً لمن في شرقه يترنم
حصن من اللذات فهو ينعم
وغدوت غمر عجا به أتقحم
لك في يدي ودماء قطرك يسجم
منه اللوا ومقدميه تهزم
لك يظهر الليث الهمام القشعم^(١)
وكان كفى فيك سيف مخدم
بالسمن لا يحكي احمرارك عندم
والنار في أحشائه تتضرم
فيه النفوس بلا ارتياب تصدم



(١) القشعم من كل شيء: الضخم المسن.

وله من قصيدة مهنتاً بها بزفاف محمد وجيه أفندي كيلاني

وهي تجلي بين ولدان وهور
قد نفى التقييد لي كشف الستور
لبدور غيوها في ثغور
مشرفات تحت أحلاك الشعور
عادل القد على الشرب يجور
كسرت من كاسر ليث هصور
قاصرات الطرف من أعلى القصور
خَلتِه داوَدَ يتلو في الزبور
قطعت أحشاء ربات الخدور
قد براه الله من لطف ونور
آنس الأغيد من بعد النفور
في صفا البلور لي ذوب الشذور^(١)
خذ شراباً من يد الساقى طهور

زف راح الأنس في حان السرور
حبذا حضرة إطلاق بها
فلكُ فيه جرت شمس الطلا
فاستحالت شفقاً في أوجه
ومدير الكأس سلطان غدا
ظبي أنس كم ظبا ألحاظه
بمحياه المصون افتضححت
يوسفى الحسن أما إن شدا
ما بدا إلا وفي بهجته
قلن ماذا بشرٌ بل ملك
لست أنسى أنس أوقات بها
جاءني والليل داج مهدياً
قلت ما هذا حبيبي قال لي



(١) الشذور: قطع الذهب تلتقط من معدنه.

المعارضة

إذ رأى أدهانها أضحت تفور
أحمر الأجناب يزري بالبدور
فيه لا في حب ولدان وحوور
لست أسلوه ولا عنه صبور
أعجمي ذو اختبار للأمور
خلته يا صاحبي قبة نور
تشتهي تقبيله منا الثغور
ه أهيل الجوع لم تبرح تدور
أكلية وعلا منها السرور
لين المأكل من كرم ظهور
أحمر يخجل ربات الخدور
منه شربي لا بكأس من خمور
لم أراه نحو من ست شهور

رفع الأستار عن وجه القدور
حبذا خاروفنا المقلي بها
ملك الألوان قلبي هائم
استوى عذري وعدلي في الهوى
وطيخ الرز من يد فتى
منسف منه لنا لما أتى
بفؤادي اليبق الذاكى الذي
ابن كرم^(١) فهو قطب كم علي
ما بدا إلا استهلته فرحاً
قلن ماذا جذر بل ورق
لست أسلو الديك في صحن أتى
جاءني والسمن منه طافح
قلت أهلاً بحبيب غائب



(١) كرم: يُقصد به «ورق العنب المحشي» أو «البيرق». وكلمة «بيرق» أصلها من التركيّة «يابراق» وتعني ورق الشجر، ثم خص بها ورق العنب.

وله متغزلاً من بحر السلسلة

ليلاً فرأينا الشمس تدرك أقمار
تختال على عرشها بحلة أنوار
بالعدل على عصبة الصباية قد جار
جفني وفؤادي على شفا جرف هار
في وجتها أشرفت بجنة أزهار
جسمي وهوها إلى المهالك بي سار
فاستطلعت بالشهب في البنا أزرار
والوجه كبدر بدا يضيء بأسحار
يوماً ورأى لطف رقصها عبد النار

زارت وعليها من الذوائب أستار
بلقىس جمال لها الملاح جنود
يا مالك مهجة المشوق بقدي
هيئات رقادي يزور بعد سهادي
أقسمت بآيات حسننها وبنار
لم أهو سواها ولو أذاب نواها
شمس بيروود من الأطالس حلت
غراء بستر تزين أنحل خصير
هيفاء فلو أنها بدت لأبيها



وله من قصيدة يتخلص بها إلى مدح عبد الجليل إبراهيم بك أحد أعيان بغداد تهنته بمولود

من التبر في الأقداح در تنضدا
عليه كليم الوجد قد وجد الهدى
وسالت أحالت جامد الجام عسجدا^(١)

جلاها على مهد الهنا فتولدا
مشعشة تحت الدجى نورها زها
هي القوت والياقوت شمس إذا جرت

(١) العسجد: الذهب.

المعارضة

وشعاع محياً يكاد يخطف أبصار
والقطر على جوانب الصدر لقد دار
كالقبة جللت بهيكل أنوار
من غير أياديك حيث جودك مدرار
بالكبة باحمرارها الفرن لقد جار
والبر لزوع الشاء ذلك إبدار
لجلاء عيون يقوم فيها كأقطار
حيا بصحاف ذكت بفائح أبهار
في القلب هواها فكيف أقبل أعذار

جاءت بعبير شذاه فاح كأعطار
بصماء بجبن حكى العجين وسمن
يا مانح الجياع منسف رز
هيهات لزادي بأن يقيت فؤادي
أقسمت لئن لنا تعزز أيضاً
لم نبرح بامتداح ذاتك نشدو
ضلع بصحون أتى غريق سمون
لحم لخراف به الشفا لضعاف
برماء عساها تواصلن فتاها



المعارضة

بأوساطها الجبن الطري المجردا
يقاس بها الخد الذي قد توردنا
هي العطر والتفاح ريحاً ومشهدا

قلاها على الصدر الكبير ومددا
محمرة لاحت أشعتها فلا
هي القوت والياقوت لوناً ومأكلاً

عليك بها يا ابن السماع أما ترى
وبالنشر بعد الطي فاح شذا الربا
وصبح الهدى أبدى زجاجة كوكب
وأذن داعي البشر في حرم الصفا
وقامت صلاة اللهو فالقوم ركعا
فدونك يا ابن البسط أوقاته فمن
وإياك والتأخير إن كنت حازماً
ورح واتخذ في حانة الراح جنة
وظلعة ساق يطلع الشمس في الدجى
مدام من السر المصون تكونت
أدرها أدرها يا نديم مدمدا
أدرها ودعني لا أرى الصحو بعدها
قديمة عهد عن ألسنت بربكم

هزار الهنا في دوحة الأنس غرّدا
وحادي الصبايا يا صاح في ركب حدا
بمصباح درياته قد توقدا
وأعلن في تكبيره وتشهدا
تراهم لساقهم من السكر سجدا
تقاعد عن أوقاته كان مقعدا
فمدرك فقد اليوم لم ينتظر غدا
وروحاً وريحاناً وورداً وموردا
ويغرب بدر التم منه إذا بدا
بكأس من اللطف الخفي تجسدا
فمن جانب الأسرار قد جاءني النداء
مدى الدهر فالأعمار من دونها سدى
روت خيراً ما أن له ثم مبتدا



عليك بها بعد الدفين إذا انقضى
وبالزبد والقشطاء لم أنس صنعها
وطباخنا أهدى لنا ابن كرمة
وأذن ديك في الصباح فما أتى
وجاءت دعاة الأكل فالقوم بادروا
فدونك يا ذا الجوع واملِ الحشا وكن
وإياك والتقصير إن شمت كبة
وقم واصطبح بالفرن وانشق صفائحاً
ولحمة ضان قمعت بعد نضجها
وقلب لنا بالشاكرية^(١) مولع
أدرها أدرها بالخواشيق^(٢) وارتشف
ومن بعدها أكل القطايف لذلي
ولا بأس بالتفكيه من مشمس أتى

لك الأكل منه قبل أن تغسل اليدا
وقد رشها قطر من الحلو لا الندا
هو اليبرق الزاكي الجدود أخو الجدا
عليه الضحى إلا أتانا مع الغدا
وصاحت بها الأشكال قد طبن موردا
من الشاكرين الله للحق سجدا
فما مثلها يروي الفؤاد من الصدا
فما المسك يحكيها انتعاشاً إذا بدا
بييض على السمن استوى وتوردا
مع الرزهل من مكرم فيها مسعدا
مدام طعام وبه اسكر وعريدا
على شرط أن القطر فيها معقدا
لنا لونه يحكي سراجاً توقدا



(١) الشاكرية: يمزج فيها اللبن بالماء ثم يرفع على النار مع التحريك البطيء، وبعد أن يغلي يضاف إليه اللحم المسلوق مع شيء من مرقه، ويبقى على النار حتى يغلي لمدة عشرة دقائق. وقد عرف العرب هذه الأكلة قبل الإسلام وكانوا يدعونها (المضيرة). وفي عهد المعتصم كانت قوات الحراسة في بغداد تدعى (الشاكرية) نسبة إلى كلمة (شاكر) الفارسية التي تعني (الخادم)، وعلى وجه الدقة (الغلام). ويبدو وأن هؤلاء (الشاكرية)، كانوا يكثرون من أكل اللبن المطبوخ باللحم فعرفت هذه الأكلة نسبة إليهم (الشاكرية). ومن هناك انتقل الاسم إلى الشام. (عن كتاب «حمص» للأستاذين محمود السباعي ونعيم الزهراوي).

(٢) الخاشوقة: ملقحة من خشب.

وله من قصيدة تخلص بها إلى مديح سعد الدين بك
ابن محمد بك المؤيد العظم مؤرخاً ولادته

ومن الهالات للبدر اللثام
أشرفت من كفه وهي مدام
ح إذا حيا بها أحياء الرمام
وقت لذات فأين الاغتنام
فرصة عنها بنو الدنيا نيام
طبعها التصريف في صرف السقام
ماله عن ظاهر الكشف اكتنام
يا خليلي فهي برد وسلام
حكمة من كيمياء الإحتكام
يب تبر حل في جامد جام
حبب فاق علسى حب الغمام
لجديد الأنس في دن^(١) الدوام
ولها في نفسها كان القيام
وبها نحن مجانين الغرام

هل في هالاته البدر التمام
يال له من قمر شمس الهنا
راحة للروح ريحان ورو
يا نديمي إن هذا وقتنا
فانتبه للوقت واعلم أنه
واصرف السقم بصرف إن من
واكتشف من نورها السر الذي
وادن منها لا تخف من نارها
واجتهد في كل كنز رمزه
واستفض من فضة الإبريق ذا
حبذا عنصر نار فوقه
خمرة من قبل نوح عتقت
خمرة قامت بها كاساتها
فهي ليلاً بمغانني حسنها



(١) الدُّن: وعاء ضخّم للخمر ونحوها.

المعارضة

كباش حول لم يجاوز غير عام
نفحات منه تحيى للرمام
فارتشفها فهي أشهى من مدام
كافلاً إشباع خمسين غلام
جانب السفرة واثبت للصدام
بأصابع كرمح لهدام
ساح فيه الدهن كالغيث الركام
في كبير العجز والإرداف هام
حيث لا تعرف تشريح العظام
من قلوبات عليها السمن عام
صحن رز نوره يمحو الظلام
بسمون شئها ييري الزكام
حمرة الخدين لهباً واضطرام
لم يزل قلبي عليها مستهام

غاص في أدهانه فوق الطعام
ياله بالسمن مقلياً أتى
مرقة دهنأ وسمناً يافتى
يا خليلي إن هذا كبشنا
فاتدب للأكل وابرک جائياً
واقصد الصدر بطعن خارق
وانبش الرز الذي في قلبه
واقصد الإلية إن كنت فتى
وتجنب رأسه مع عنقه
واشرب الدهن ونظّف جوفه
حبذا صدر كبير فوقه
كبة فيه أحاطت غرقت
نضجت بالفرن فاللون حكى
فهي لبنى وأنا قيس الهوى



وله من قصيد تخلص به لمدح
الوزير الخطير سعادتلو علي حقي باشا

قم يا نديمي فهذه الصهباء
وانهض بنا نخطب عروساً ما لها
وأزل بها ضراء صحوي حيث ما
راح إذا مزجت يروح مركباً
ياقوتة في جوهر من فوقها
ما الكيمياء سوى المعتقدة التي
شمس على الأقمار بات يديرها
ساق عن الجنات تغنى المجتنى
يسقيها والنقل من شفثيه وا
لله رب ملاحاة أبدأ على
وأمير حضرة رقة وخلاعة
متناقض الأوصاف مجتمع به
قد باكرت حاناتها الندماء
غير الملوك ذوي الصفا ألفاء
لي في سوى سكري بها سراء
منها لأدواء الهموم دواء
حبب لآئنه لها للألاء
قد أحكمت أكسيرها الحكماء
بدر له فلك البهاء سماء
من وجثيه الروضة الغناء
لمصباح منه غرة غراء
عرش الجمال لذاته استيلاء
تسعى لطاعة أمره الأدباء
لهب على ورد الخدود وماء

المعارضة

قم يا نديمي فهذه البصماء^(١)
وانهض بنا نجرع كؤوس القطر من
وأزل بها ضراء جوعي إن لي
حمراء إن صنعت بجبن لذلي
مفروكة من فوقها جوز كذا
ما الحلو إلا الرز في مغلي الحليب
مجدولة منها تعلمت الضفا
مصباح حمرتها عن المصباح يغني
قطر القطايف فاتخذة ساخناً
وإذا قلت فضع بها الجبن الطري
لله صدر بغاجة حيا على
وكذاك صحن فيه كشك^(٢) ينتمي

حيث فما لي اليوم عنها غناء
حول الصدور فما سواها شفاء
عين عليها دائماً وكفاء
لا سيما إن سامها قشطاء
ك سنوبر مُنقى له للألاء
مع السكاكر سيما البرماء
ئر كي تزين نفسها العذراء
حين تسبل ذيلها الظلماء
إن لم يكن بالقلي منك عناء
والقطر دع يعلو عليه الماء
وقت به لذت لنا الحلواء
بالقول للفقرا وهم بعداء

(١) البصما: كلمة تركية، وهي نوع من أنواع الكنافة. تترك فيها خيطان الكنافة بالسمن وتدعك حتى تصبح كالعجين الغليظ، ثم يدهن أسفل الصدر بالسمن وتوضع فيه طبقة من الكنافة المفروكة ثم طبقة من الجبن الحلو، ثم طبقة من الكنافة. وعندما تحمر الطبقة السفلى يقلب الصدر على صدر أوسع ثم يوضع الصدر الجديد على النار حتى تحمر طبقة الكنافة السفلية فيسكب عليه القطر ويرفع عن النار. (من كتاب «حمص» للسباعي والزهرابي).

(٢) كشك الفقراء.

وإذا انثنى ما الصعدة السمراء
بلواحظ هي والقضاء سواء
غلبت عليّ صبابة وبكاء
رعد وعيني مزنة وطفاء
للنصر منشور عليه لواء

ريم فما البيض الحداد إذا رنا
يسطو على أسد الشرى فيصدها
لا تنكروا منه ابتساماً كلما
برق ثناياه وبين جوانحي
ملك الحسان كأنما من فرعه



وله يمدح صاحب الفضل والفضيلة العلامة

خالد أفندي الأتاسي، حين قدم إلى حماه

وبراح لطفك غنت الكاساتُ
غنت على ألعانه حانات
بك مرحباً قد حلت البركات
أفراخه في الأولياء بزاة

بصفا قدومك طابت الأوقات
ويفضل صيتك صاح صوت مطرب
قد أبت من دار السعادة مرحباً
وسعيت زائريت باز أشهب

ولها بقية ما وقفنا عليها وما أتينا به منها يكفي في المعارضة.



كل القلوب التي قد شاؤا
وليه شوقاً هامت الأحياء
سلطانها وجميعها أمراء
للفاقيدي الأسنان ذاك دواء
منه لعمرى تختفي الظلماء
وله علينا الشكر ذاك جزاء

متكاثر من فوقه الأنواع من
حلو غدا يحيي الرمام بنكهة
يمتاز ما بين المحالي إنه
لا تنكروا الكلاج أيضاً إنه
لون حكى وجه الصباح إذا بدا
فلنا التمتع في نعائم ربنا



المعارضة

فالهبر منه طابت الكببات
فمع العجين تكبر اللقمات
ضمن المحاشي سيما القبوات^(١)
وكذلك الفتات والتردات
لا سيما إن سامها الليات
بالحشى واليخنى له لذات
وكذلك المقلي والعجات
مطبوخة مهما تيسر هاتوا
لم يغنه عن أكلها حليات
في قطره قد حلت الجينات
بقدمه قد حلت البركات
يا مرحباً بهما هما السادات

من لحم ضأن نُوعت أكلات
وكذا السمين إذا تقطع ناعماً
والرز واللحم إذا ما أدخل
لا شيء مثلهما يلذ لآكل
وإلى الفريكة فرّ قلبي طائراً
أما الدجاج علاج بطن جائع
والبيض في اللحم المقمع لذلي
أنعم بأنواع الخضير جميعها
والصب في أكل المحالي مولع
أهلاً بصدر للكنافة جامع
من سمنه نور السرور مشعشع
وكذا البغاجا بعدها بقلاوة

(١) القبوات: هي الأمعاء الغليظة للضأن تفرغ مما بها وتغسل جيداً بالماء والصابون ثم تحشى أرزاً مع اللحم المفرومة، وتطبخ ثم تقلى بالسمن، وتصنع منها (فتة) أو تؤكل وحدها، أما الأمعاء الدقيقة فتدعى «الجقات».

وله تهنئة بقدوم والي سورية أحمد جودت باشا، إلى حماه

إذ محا الظلماء مصباح الصباح
فتح الفتاح أبواب النجاح
منه سورية حياها الفلاح
كعروس ذات عقد ووشاح
أصف الهمة الشاكي السلاح
جودة الكف لمن منه استباح
بمعان هي للأرواح راح
ما على الصابي إليه من جناح
خمرة قد مزج السحر المباح
جاء أمر الجد وانزاح المزاح
في حماة الشام بدر الحق لاح

صاح الأفراح بالإفصاح صاح
ولأرباب التهاني والصفاء
بقدوم النير الأعلى الذي
وحماة الشام أضحت تنجلي
بوزير الوزراء المجتبي
أحمد الشان العظيم الجدف في
لسن من كأس لفظ مسكر
علم العلم بصيت صوته
بيديع وبيان في صفا
فهلّموا يا ذوي الحزم فقد
ولسان البشر نادى أرخوا



المعارضة

أي راح أي عطر حين فاح
أولموا قد راح هم الجوع راح
لفساد البطن لقياه صلاح
إذ من الإليّة لاح النور لاح
جوفه رز ولحم مستباح
روا عليه لا ولم يخشوا جناح
فج منها نشأة تيري الرياح
تلك أو من حيث مرعاة الشياح^(٢)
قد ملا الساقى ولا من كأس راح
لية مع هبرة هلا مباح
لزهد لقال اليوم عنه لا براح

ساح دهن اللحم فوق النار ساح
وعن القوم المعازيم الأولى
بقدم الكبش ذي القرنين من
وبه السفرة صاحي أسفرت
بعظيم بارك كالزق^(١) في
أحمر الأجناب إذ بالسمن جا
كلما الأيدي أزالت قطعة
ليت شعري من بهارات ذكت
نشأتي من كأس دهن منه لي
لو بأكلي أمزج القطعة من
لو رآه صاحب التقشيف وا



(١) الزُّق: وعاء من جلد يُجَزُّ شعره ولا ينتف، للشرب وغيره.

(٢) الشياح: أصله الشيح وهو نبات طيب الرائحة.

وله من قصيدة تخلص بها إلى مديح محمد بك البارودي حين قدم إلى حماه

صون اللسان عن الكلام مسفهاً
يا عاذلي عني بعدلك لي فقد
أسمعت لو ناديت حياً إنما
هذا الهوى هو والقضاء كلاهما
يا نظرة تركت فؤادي شاخصاً
بشهوده أعمى أصم عن السوى
لا يرعوي عن ذلة لمهفهف
قمر محياه النضير وشعره
ظبي أغن^(٢) إذا رنا متلفتاً
وإذا انتضى سيفاً وهز مثقفاً
إننا مشايخ صبوة سكراتنا
ونفوسنا موتى وليس حياتنا
أسرى لحل قيودنا وفكاكنا
ما بين أقمار إليهم في الدجى

صوم اللييب الحازم المقدم
أبلغت أسماعي أليم ملامي
ناديتني فاقصر ورح بسلام
من أعين الآرام^(١) سهم حمام
لجلال وجه جمال بدر تمام
سكران سكر صباية وهيام
ذل المحب إليه عز سام
صبح تبلج تحت جنح ظلام
تعنو الأسود لأعين الآرام
سلب العقول بمقلة وقوام
وقف على حركات جيد غلام
إلاً النديم على دوام مدام
عند السماع مفاتح الأنغام
تجري الشמוש بأنجم من جام



(١) الآرام: مفردا رثم، وهو الظبي الخالص البياض.

(٢) الأغن: ذو الغنّة، وهي صوت يخرج من اللهاة والأنف. ويقال: «رجل أغنّ، وغزالّ أغنّ».

المعارضة

أكل الدجاج هو العلاج وحبذا
يا مانحي صدر البغاجا طعمه
أطعمت من يشكر لفضلك دائماً
هذا هو الخاروف جاء مبكراً
فارتع بروضته وفرصتك اغتتم
واصنعه مطبوخاً وإن شئت اتخذ
أو شئت محشياً ومقلياً وإن
وادفنه في رز كذاك برغل
ومع الشواكر^(٢) والسوافل فالقه
فهو الذي بجميع هذي كلها
أما الكبائب فهو لا يصلح لها
وكذا الصفائح فالسمين لها اتخذ
وكذا الخضار جميعها فلعومها
وكذلك القبوات والجقات^(٣) إن

بالسمن لو يُقلى وذاك مرامي
هلا أتيت به مع العوَّامي^(١)
إن كنت تتحفني بكل طعام
أيامه من أجمل الأيام
وبه تمتع لا بفرخ حمام
من لحمه مشوي على الأفحام
رمت المُقَمَّع فهو براء سقام
واقليه بالسمن البهي السامي
والدهن منه ارشف ككأس مدام
حقاً لعمري قام حسن قيام
فاصنعها من كبش من الأغنام
متجنباً شيئاً من الأشحام
منه كمحشي القرع ثم البامي
فيها حشيت كفتك كل ملام



(١) العوَّامي: أو العوَّامات، أو الفواشات: يجعل العجين سائلاً بعض الشيء فتؤخذ منه كرات صغيرة بملعقة صغيرة، وتقلي بالزيت وبعد نضجها تغطس بالقطر.

(٢) الشواكر: يقصد الشاكرية. وقد مرَّ تعريفها.

(٣) القبوات والجقات: مرَّ تعريفها.

وله من قصيدة يتخلص بها إلى مديح حسن أفندي بن طاهر أفندي الكيلاني

وهو جمر هواك في القلب شبه
لب منا ما حرم الله سلبه
جرد السحر منه للفتك عضبه^(١)
راح مستخدماً من البان قضبه
صير الجور في رعاياك دأبه
صل أشجاناه وقاطع صحبه
في قليب الهوان قلب قلبه
بأسارك أجر من خان ربه
من هول الصبابة صعبه
بين أهليه ذا انفراد وغربه
طائعاً عند ما دعا الحب لبه
من قضى منه لاعج الشوق نجبه
وحياة النبي ساكن طيبه
الهجر بعد الوفا سلنتني الأجه
عذاب الغرام فيهم وعذبه
غاب نجم السرور والأنس غبه

من بورد الرياض خدك شبه
بل ومن ذا الذي أباحك إن تسه
يا غزلاً غزا القلوب بطرف
قدك السمهري ما ماس إلا
مالكي مالكي بعدل قوام
جد بوصل لمغرم فيك قد وا
وتعطف على محب هواه
وخف الله لا عدمتك واغنم
يا أخلاي من لصب غدا مستهلاً
ألف الذل بعد عز وأضحى
وعصى نصح ناصحيه ولبى
أمري بالسلو هيهات يصغى
لا ومحبي العظام وهي رفاة
لست أسلو الهوى ولو بهجير
هم مرامي بهم هيامي وإن ذقت
آه من لي برد سالف عهد

(١) العضب: السيف القاطع.

المعارضة

وبه قد أتى ليتحف صبه
بشم البهار ازداد رغبه
فح بالدهن مستمداً بكبه
فوقها السمن راح يمطر سحبه
برغلاً واستباحوا بالجرن ضربه
وعلى السمن قد تحمر لبه
منك كم حسن الأطباء شربه
ذكرك المعظم دأبه
قد منتهم لمن أسقم الجوع قلبه
بانتشاق البهار يسكن نجبه
مع كوسج قد اختار قربه
رخام لعين من يتنبه
لقلوب أحالها الجوع خربه
لطبيخ الأنام أعظم وهبه
وله إلية تشابه طربه
وعسى أن أرى القطائف غبه

من إلى الرز في المناسف صبه
ناشراً فوقه اللحوم من الضان
يا صحننا حويت ييرقنا الطا
فرشت بل ومهدت بالصواني
أكثروا الهبر ضمنها وأقلوا
يا دجاجاً حشي برز ولحم
أكلك البرء إن سلقت وماء
جد على مغرم بأكلك لم ييرح
يا أخلاي بالمآكل هلاً
وعلى القدر أوقفوه عساه
ويرى ضمنها إلى القرع محشي
يا لقضبان فضة بل وعمدان
صنعت لا لتشييد قصر ولكن
لا ومن أنبت الخضار بروض
لست أسلو الخاروف لو صرت رمساً^(١)
ذا مرامي وفيه كان غرامي

(١) الرَّمْس: التراب الذي يحثى على القبر، أو القبر المستوي مع وجه الأرض.

لو وجود الزمان منها بأوبه^(١)
لم يزل يحمي في ظبا اللحظ سربه
وحيت نوافج^(٢) المسك تربه
نسمات الصبا تزور مهبه

وليال مرت فما كان أحلا
يا رعى الله من حمى البان ظيبا
وسقى وابل الحيا حي أتراب
ذلك المنزل الذي ليس إلا



وله من قصيدة تخلص بها إلى مديح سعادتلو أحمد باشا الشمعة

وسود ليال من ذوائها العشر
ومن شهب الأزار بالشفع والوتر
وصبح جبين ضاء كوكبه الدر
علمت يقيناً أنها ليلة القدر
وحيت فأحيت ميت الصد والهجر
ومن دونه صيد الكواكب والزهر
وغبت بها عن حالة الصحو والسكر
كما انتفض العصفور من بلل القطر
ويحت بما قد كنت أكتم في سري

أما والسنا الوضاح من جيدها العجري
ومن كأسها بالنجم وهي تديره
وشمس محياها وفرقد فرقها
لليلة لقيها المنيرة ليلة
ولم أنس إن زارت من الليل مضجعي
وقد كان منها القرب عنقاء مغرب
دنت وتدللت فاندهشت مهابة
وعند تدليها اعتراني هزة
ولما أباحتني الوفا فهت بالجوى

(١) الأوب: الرجوع.

(٢) نوافج: جمع نافجة: وهي وعاء المسك في جسم الظبي.

والقطر علاها يا ليت لي منه شربه
كنافة وجهها بالشقيق أشبه
من بني خالد^(٢) أتتنا بعُلبه
إن شئت ذبحه وإن شئت حلبه

حشوها الجبن عمها السمن
آه واحرقتي على الصدر إذ ضم
ضمنها قشطة وافت سحيراً^(١)
نعم حي به الغنم الساحر



المعارضة

وكثرتها في العيد من موسم النحر
إليه اشتياقي لا إلى الكأس والخمر
ومطبوخها أيضاً المنضج بالجمر
هي الليلة الغراء عندي من الدهر
وقد فاح منها السمن كالند والعطر
يلوح لنا البرق المبشر بالقطر
إليها الأيادي كالمثقفة^(٣) السمر
لأعجل في قبض النفوس من الصدر
جوانبها حتى استحالت إلى القفر

أما ولحوم الضان من غنم الحمر
ومن دهنها كأس يلد لشارب
وناعمها أيضاً السمين وهبرها
لليلة أحظا بالكنافة إنها
ولم أنس إذ جاءت على الصدر تنجلي
ولاح سنا القشطاء من جوفها كما
دنت وتدلّت للجياح فوجهت
وحكمت الطعنات في القلب إنها
وما برحت لآكلين مراتعاً

(١) السحير: المشتكي بطنه.

(٢) إحدى القبائل التي تقيم بين حمص وطرابلس، وكانت تشتهر بقشطة الجاموس.

(٣) المثقّف: الرمح المقوم.

ورقت وتالت قر عيناً فهذه
وهذا جنى جنات قربي ففز به
فقلت معاذ الله ما أنا بالذي
على أنني الحر الأبى لكل ما
هناك أوت من بعد عز وأنست
فعانقت منها أسمرأ تحت أبيض
وغصنا من البلور أصبح يانعاً
ومن زندها للضم مدت أريكة
وسرحت طرفي في رياض جمالها
فبت حليف الأنس منها منعماً
إلى أن نوى ركب الظلام على النوى
وهمت بسلخ الليل أيدي الصباح مذ
ومن شفق الصبح البنفسج كاد أن
وقامت لتوديع التي ساعة الصفا
تفوه بآه وهي قائلة دنا
وسارت ولولا الوعد منها بأوبة

أويقات وصلي فاغتنم غفلة الدهر
وإياك ما يفضي إلى السوء والوزر
أحب وما راعى عفاف الهوى العذري
يشين وليس العذر من شيم الحر
إلي وأهوت من قَطوب^(١) إلى بشر
الإزار بدا يختال بالحلل الخضر
برماتي نهدين في فضة الصدر
إلي فأغتنني عن المد في القصر
وأوردته الورد المضمخ بالعطر
بروح وريحان على كوثر الثغر
وطي صبا الأسحار آذن بالنشر
أتاه بسكين الضياء من الفجر
يعصفه فيروزج^(٢) الجوبالتبر
بها والوفا منها أبيع بها عمري
رحيلي وإني من رقيبي على ذعر
لكانت حياتي اليوم من أعجب الأمر



(١) القَطوب: القابض ما بين عينيه من جلدٍ عابساً.

(٢) الفيروزج: الفيروز.

فراحت إلى الفتات كي تستجير من
فجاءت لنا الفتات تبغي نزالنا
ومنسف بارزناه باللحم مترعاً
فنقبت الأيدي جوانبه إلى
حملنا على الأشكال من كل وجهة
فرينا المحاشي والقبوات بعدها
وقصرنا القرع الطويل عن الوغى
ويبرقنا بالصحن قل عديده
وعاد بياض الرز والنقع ثائراً
وكتبنا بالشاكزية أردفت
وخاروفنا قد خرَّ يدي ضلوعه
ملأنا سجون البطن منها وجذا
أدم يا إلهي هذه الحرب بيننا
ومكن من عنق الخواريف أيدنا
وأبعد عنا اللفت والجزر الذي
ولا سيما الملفوف من يورث الأذى

خواشيق^(١) سُلت كالمهنة البتر
وللجار حق الجار بالسر والجهر
كبرج تسامى للتحصن بالحصر
أن اندك من بعد التشمخ والكبر
فقهقرنا جيش المآكل للكسر
وقدنا لشيخ المغشي^(٢) بالقهر والأسر
بطرقة أسنان أحد من الجمر
بكسرته قد كان يعلن بالفخر
دجنة داج غاب فيها سنا الفجر
وقد زلزلت يا صاح من جانب الصدر
وقد كان مثل الدن في العظم والكبر
لعمري ما جنناه بالفتح والنصر
لنوليك من حسن المحامد والشكر
لتقوى على فري الترائب والنحر
أتى النهي من بقراط عنه كمن يدري
ويفتح بالتنفيس زمامة الدبر



(١) خواشيق: جمع خاشوقة: وهي ملعقة من الخشب.

(٢) الشيخ المغشي: الأصل شيخ المحشي: وهو الكوسا الصغير يحضر ثم يقلى بالسمن ويحشى باللحمة المفرومة المقلية والمتبلة بالبقدونس والبهارات ثم يطبخ باللبن. وهو أفخر من المحشي.

وله من قصيدة يمدح بها
حضرة صاحب السعادة دروبي زاده
عبد الحميد باشا بتوجيه رئاسة محكمة تجارة حمص

حسن الثناء على جميل خصال
بيت سوى أهليه فيه خال
حسناً ذات تمنع ودلال
شرف ومن عقد ومن خلخال
من يحتمي بعريضة ودحال
حال وعقد بالمليحة حال
ء لها بصارم غضبها الفصال
ماضي العزيمة صادق الأقوال
شهم بغير الله ليس يبالي
تأتي السها من جملة الأبخال
النجم موطىء أخمصي ونعالي
منها تؤمله بنو الآمال
قد أصبحت بك للجمال مجالي

ربح المتاجر لاكتساب معالي
للفضل أهل لا يقوم بغيرهم
يا خاطب العليا جد فإنها
فمن الورى ما هم حلا للمجد من
ما الليث إلا من حما الغابات لا
عقد به الخود المليحة جيدها
بشرى لمحكمة التجارة والهنا
عبد الحميد وما سواه لها فتى
والحق سيف والأحق به امرؤ
لك يا أبا المحروس محيي الدين أن
إذ أنت أعلا من مقامك قائلاً
لم لا وهمتك العلية فوق ما
ولحمص قد حق الهناء لأنها



المعارضة

والرز لي فيه وسيع مجال
أيديهم فيه كما الفصال
جوعي ومخمصتي وسيئة حالي
لا شك يكفيني أنا وعيالي
حمراء تهدي لا بذات حجال
متربعا لا مبتغي لنزال
الخاروف لا من يردي للأقيال
طربي بوصف الأكل والأشكال
وعلى الطناجر إن نقرت حلالي
أبغي لرنة صدرنا المتلالي
وكذا الصحون بصنعة الأكال
سلطاتها وكذلك الأبقال
لا بالصبي وربة الخلخال

أكل المحاشي صنعتي وفعالي
للاكل أهل لا يجاوز غيرهم
يا طابخ الضلع السمين أما ترى
أنعم به ولك الثواب فإنه
ما العشق إلا أن تهيم بكبة
والليث من صدم الموائد بل جثا
والقرن من بالكف يقبض رقبة
دعني ومن ألعان شاد مطرب
والعود لا تضرب به فيسوؤني
مارنة القانون أبغي إنما
وكذاك قعقة المعالق فوقه
وتلذذي بتعدد الألوان مع
وتغزلي بسوى الكنافة لم يكن



وله من قصيدة تخلص به إلى مديح الشهم الجليل محمد آغا الأظن

غرر الأهله كيف منها تولد
سفرت عن الصبح الحسان الخرد^(١)
مجلى به ابتهج الحمى والمعهد
صرف العتيق وللسرور نجدد
أمست بدرّ حبابها تتقلد
شفق غدا يغشاه ليل أسود
بازاً لأطيار الهنا يتصيد
صبح يقلهما قضيب أملد^(٢)
لريحان منه عذارة المتزرد
لهب به ماء البها يتردد
وإذا تلفت ما الغزال الأغيد
س الفوارس لحظه المتأسد
جمع المحاسن قد تثنى مفرد
ليلاً ومصباح الصفا يتوقد
والكأس نجم والمدير الفرقد
يعشو مجوسي الصبو ويسجد
ترمي شياطين الهموم وتطرد

أبدور سعد أم شمس فاشهدوا
أم عن مصايح أبان البشر أم
لله ذيك الجمال وحبذا
فانهض بنا يا ابن التهاني نجتني
واستجلها عذراء في الأقداح قد
حمراء في قار الزجاج كأنها
شهباء رتبا أكف سقاتها
من كف أهيف شعره ليل على
يسقيكها والنقل من شفتيه وا
يسعى بها وكأنها من خده
زاهي المعاطف ما القضيب إذا انثنى
من لي به ظيباً غضيض الطرف يفتر
لم أنس حين ضمته إذ منه في
لو تنظر الندمان وهو يعلمهم
والراح شمس والأكف بروجها
حيث المشعشة الشمول لنارها
صهباء بالأفراح شهب حبابها

(١) الخُرْد: جمع خرود: وهي المرأة الحيّة، أو البكر التي لم تُمسّ.

(٢) الأملد: الناعم اللين من الغصون والناس.

المعارضة

إن كان ذا أو ذاك كل جيد
فإذا هم الخاروف فيها وسَدوا
أمراقه الأرياح عنا يطرد
قد آن للأكل الجماعة يحشدوا
تلهو بأكل الخبز ذا لا يقصد
فغسى الذي في بطنه يتبدد
تَخْشَ الحواضر إن رضوا أو فندوا
لهما السهل البلع حاشا يوجد
ضمن الصحون كمثّل جمر يُوقد
ما المسك إذ نفحاتها تتجدد
قوت سواه لجائع لا يعهد
للبن الزكي بطبخها قد عقدوا
تقصد سواها فهي نعم المورد
وأجلها بقلاوة إن أوجدوا
فالكشك للفقراء منها أبرد
كاللؤلؤ المنظوم نعم المشهد
لهي النعيم إلى الأنام مؤبد

أقدور رز أم لحوم فانقدوا
أم عن سنا الحلة قد زيح الغطا
لله لحم غارق بالدهن في
فاسرع بنا يا جائعاً يبغي الجدا
واجلس وكن بالصدر ملتصقاً ولا
واقبض على الخاروف من أضلاعه
جوفه في كف كمسحات ولا
واقطع من اللية والهبر فمث
أما القبوات التي قد حُمّرت
منها تناول وانتشق لبهارها
واليبرق الزاكي الجدود فلذ به
ومن الشواكر فارتشف إن كان
وإلى الصواني كبة نسبت فلا
من بعدها للحلو ثاني مشهد
أما الكنافة للشتاء وصيفنا
وكذاك رز بالحليب إذا بدا
فاعكف على تلك المآكل إنها

وله من قصيدة تخلص بها إلى مديح صاحب الفضيلة
عبد الله أفندي ، ابن حسن أفندي الكيلاني

فأطلع البدر في ليل من الشعر
لمستقر لها في هالة القمر
برج من الزهر في مرج من الزهر
بالنجم يسعى إلى الندمان بالسَّحَر
المشموم من شامة في خده العطر

من رصَّع الشمس في شهب من الدرر
شمس على فلك الحسن البديع جرت
حيث الرياض ونور النور يسفر عن
وحامل الكأس بدر فوق غصن نقا
ساق يسوق لنا المشروب يصحبه



المعارضة

من صب للصب محشياً من الجزر
 طبخ إليه قلوب الجائعين سرث
 حيث الخضار بأنواع لها اختلفت
 وحامل الرز في الأصحاف يعرب عن
 داع يقول هلموا الأكل حان ومن
 أحبته وأنا مثلي فليس يرى
 لم ولا ولو لكراع^(١) قد دعيت أجب
 وإذ تهيأت الأشكال وانفرشت
 جلست جانب أصحابي وليس على
 وصرت أرمق شذراً للمحاشي كذا
 والشيخ للمغشي من أوهى قواه قلاء
 فراح مني إلى المحشي استجار به

وطاف فيه على الحلّات والقدر
 شوقاً لتنشق ريباً نفحه العطر
 والسمن عام على الأمراق كالدرر
 بدر تلاً في داج من الشعر
 عنه تواني لعمرى باء في خسر
 طوعاً لدعوته في البدو والحضر
 للإقتداء بذخري سيد البشر^(٢)
 على المدارج من حلو ومن زفر^(٣)
 مسح الصحون بهم غيري بمقتدر
 طوراً إلى اللحم والأرزاق والخضر
 السمن من منظري ولا بمندعر^(٤)
 والرز نادى بذيلي كن بمستري



- (١) الكراع: من البقر والغنم: مُسْتَقْدُ الساق العاري من اللحم. وفي المثل «لا تطعم العبد الكراع، فيطمع في الذراع».
- (٢) يشير إلى حديث رسول الله ﷺ: «لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأَجِبْتُ، ولو أهدى إليّ ذراع أو كراع لقبلتُ» رواه البخاري في كتاب الهبة ص ٢٥٦٨.
- (٣) الزُفر: اللحم واللبن ونحوهما.
- (٤) دَعَرَ العود: دَخَّن ولم يَتَّقِد.

وقال من قصيدة يمدح بها جندي زاده محمد أفندي
ويهنئه بزفاف نجله أبي الخير أفندي

بطيب الهنا شمس الصيانة في الخدر
وليلته ما غيرها ليلة القدر
مقابلة النعماء بالحمد والشكر
جمال مجالي بهجة العز والفخر
مآثرك الحسنى تجل عن الحصر
قران سعود البدر في أشرف الزهر
غدا مستفاداً منك يا كوكب العصر
بهذا الورى جدوداً مدى الدهر

تبارك من أجرى إلى هالة البدر
زفاف به حق السرور وكيف لا
وحمداً لمولانا وشكراً وحبذا
على أن كسا الجندي أعني محمداً
وحسبي اعترافي يا أجل الكرام إذ
هنيئاً بما قد قدمته يداك من
هما القمران النيران سناهما
فدم لهما واسلم إلى أن تراهما

المعارضة

تَلَطَّف في رفع الغطاء عن القدر
فبان لنا الخاروف فيها موسداً
ونفحُ إلينا من بهاراته أتى
رعا الله أوقات الربيع فإنها هي العمر
هواء رخيم وانتعاش ومأكَل
وموسم ألبانٍ وقشطاً وزبدة
وسمن جديد ريحه قد روي لنا
وأما كماء^(٣) الشرق لا شيء مثلها

غلام يجيد الطبخ يزهو على البدر
ومن فوقه الأمراق في دهنه تسري
فلا المسكُ يحكيه ولا جيد العطر
إن عدت من العيش في الدهر
لطيف كما الخروف إذ جاءنا يسري
وقمقنا المشهور من عرب الوعر
عن الشيخ^(١) والقيصوم^(٢) عن أزهر البر
إلى صدم جوع قد تجمع من شهر

(١) الشَّيْح: نبات من الفصيلة المركبة (Compositae) ويسمى بالإنجليزية (Worm Wood). طيب الرائحة. ويؤثر في الخريف، وينتشر بشكل واسع في البادية. (النباتات الطبية للدكتور العودات ولحام).

(٢) القَيْصُوم: (Artemisia Abrotanum) عشبة متوسطة العلو، لها رائحة الليمون والحامض. ويستعمل مرهم القيصوم في الطب الشعبي في علاج التلج في أصابع القدمين في الشتاء. كما يتداوى فيه في طب الأعشاب (التداوي بالأعشاب: للدكتور أمين رويحة).

(٣) الكماء: الكماء. تنظف مما علق بها من حبات الرمل ثم تطبخ على ثلاثة أشكال: ملفحة باللحمة أو محشوة، أو مسلوقة تقطع وتدق، ويضاف إليها الثوم والزيت وتؤكل كمقبلات.

وأبقاك والأنجال رب السماء ما جرى في الوري عقد النكاح على بكر
وما ابن هلال راح يشدو مؤرخاً زفاف الشريا حل للكوكب الدرري



لعمري لذوق الأكلين لقد حلت
فإن هي تُحشى بالأرز ولحمة
وإن قليت بالسمن مع لحمة فذا
ولم تدر أي السمن واللحم والكما
وإن هي تشوى أو تضاف لبرغل
ومحشي قرع جاء باللحم مترعاً
ويامتنا بالسمن قد كان قليها
كذا شيخنا المغشي قد رق جلده
وبصماء زارت تحت ذيل من الدجى
وصدر من الكلاج يصحبها له
أدم يا إلهي جل نعماك رحمة

بأنواعها في حال يبس كذا خضر
كثيرة دهن فهي قصدي من الدهر
اتحاد ثلاث حل بالواحد الوتر
إذ الطعم فرد وهو من أعجب الأمر
ورز وزيت وصفها جل عن حصر
كأفلام بلورا كتفت فيه عن جبر
وباللحم والحمض استمدت بلا نكر
من القلي حتى كاد يخفى من الضر
وقد كللت منها الجوانب بالقطر
ضياءً فلا يحكي بهاه سنا البدر
على آكليها الخيرين مدا الدهر



وقال من قصيدة تخلص بها إلى مدح محمد باشا اليوسف متصرف لواء حماه

نسيم هب من أطلال ريا
رسائل تصحب المسك الزكيا
لرعد الوجد في قلبي دويا
عليلاً قد كواه البين كيا
ربوع أحبتي حيى فحيا
بسلك منك أن يوحوا إليا
أشدواً كان صوتك أم نعيان
ففرط النوح لا يجدي شجيا
إذا جن الدجى وسجا عليا
لأنك لم تري مثلي وفيا
وجسماً لابساً ضعفاً قويا
طروساً^(١) تظهر السر الخفيا
الخدود يخط سطرأ عندميا
صروف البين كأساً علقميا
أكن للذل في الدنيا أيبا

سرى فأثار نار الشوق ريا
وأودى حين داوى جرح قلبي
ويا برقاً أضاً ومضى فأبقى
عجبت من العليل أتى يداوي
بسحب الدمع مني عني حي
وعرض بي لديهم عل يوماً
وأنت حمامة الوادي أيني
تأني يا حمامة لا تنني
ولكن أين نوحك من حين
قفي نوحى النوى ما يقتضيه
عويلاً واضطراباً وانتخاباً
وجفناً سائلاً ياقوت منه
أجل ومعى ابن مقلّة فوق طرس
ليهن الشامتون بأن سقتني
عدمت العز والإقدام إن لم



(١) الطُّرُوسُ: جمع طرس وهي الصحيفة أو الكتاب الذي مُحي ثم كُتب.

المعارضة

فهيّا نغنم اللذات هيّا
بعزم واقتطع بالكف ليّا
به رزاً سراه الدهن سيّا
عن الشكوى وتلك الشاكريّا
ومحشي القرع ثم الفاختيّا
محمرة كساها السمن ريا
ويبرقنا كذاك الفاصليّا
وبامتنا ولوبتنا البهيّا
فإني قد شويت اللحم شيّا
فعندي لاتفه بالسافليّا
كما من أراضى المشرفيّا^(١)
يقول سمعت من بطني دويّا
لمحض جنون جوع البطن كيّا
ولا تخش الأذى ما دمت حيّا
لأكلك لو يكن صخرأ قويا

لنا الخاروف فوق الصدر حيا
وإن ما رمت تصدم فابتدره
وأنحو نحو ذاك البطن تلقا
عجبت من الجياع أما يكفوا
وفت والرز أحضر في جفان
وكتبنا أتناف في صواني
وفول الغض في لحم طري
وباذنجاننا مصري وشامي
وإن بعض المآكل قد قلاني
وعالي القرنييط إذا وفاني
وأى بطاطة لما أتننا
فدونك أيها الجوعان يا من
فذاك هو العلاج بلى فهذا
فكل واسرف ولا يثنيك لوم
فعاصينا^(٢) له ماء مذيّب



(١) المشرفة: قرية تقع شرق مدينة حمص.

(٢) نهر العاصي.

وله من قصيد مؤرخاً ومهنتاً بزفاف

شمس البهاء جرت لأوجه مستقر
وبواعث الأفراح بالبشرى دعت
وكواكب الأقداح راح يديرها
راح بها أشباحنا تترتاح إذ
راقت ورقت في الزجاج فأشبهت
فكانها وحبابها في كأسها
تجلو الهموم إذا لها الساقى جلى
يا صاح دونكها عروساً واقتطف
واطرد بها يا جوج حزنك إنها
واطرب وبادر للسرور مهنتاً

وبأسعد الإقبال أدركت القمر
طاب الصفا لذوي الوفا زال الكدر
بدر له تعنو الشموس إذا سفر
عن مبتدأ أرواحنا روت الخبر
معنى خفياً دق عن درك الفكر
نغر تبسم عن ثنايا من درر
والصبح صال على الدجى وسطا وكر
في فيك من وجناتها ورد الخفر
سد فما زبر الحديد^(١) ولا الحجر
إسكندراً بزفافه الزاهي الأغر



(١) قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آثَارِكُمْ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْنَا أَن نَّجْعَلَ بِهَا سِمَاتٍ﴾^(١) سَدًا ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقَوْلِهِمْ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٢﴾ أَتُوبُ رَبِّيَ لِلْمَلِيذِ حَقًّا إِذَا سَأَوْتَنِي بَيْنَ الصَّدِيقِينَ قَالَ أَنْفُخْ حَقًّا إِذَا جَعَلْنَا نَارًا قَالُوا تُوْفِقُ عَلَيْهِمْ فَطَرْنَا ﴿١٣﴾

المعارضة

والجبن مشتعل كما شعر الغرر
قمرأ سرى بظلام ليل اعتكر
نفحات سمنك لا إلى المسك الأغر
كالأرض فادركها بقطر كالمطر
حتى أعود لها سوى أكل الزفر
برج بني باللحم كلا لا الحجر
حتى كأن للحلو لم ألقى أثر
إلأ على صحن به كشك الفقر
بقلاوة حمراء وافت بالسحر
المولى فإن الله يجزي من شكر

صدر الكنافة عن حسين قد صدر
فترى سناه وهو بين طباقها
يا ابن الخجا أرواحنا تاقت إلى
بالنار عند الفك جرت فعطشت
ما لي معين إن صدمت بحلوها
لله منسف فتة معها أتى
والحمض فيه به الشهية قد أتت
ما هام بي وجدي وزادت حرقتي
من لي بها والفرن أصلح أمرها
في جوفها القشطاء كل واشكر إلى



وله مؤرخاً ومهنتاً برتبة ثانية لمحمد سليم الشهابي

لأتم السعد حاز الرتبا
يا له قلة إقبال لقد
وشهابي ذكاً أفكاره
علم جل عن التنكير إذ
حبذا مصباح فضل صُبحه
ولمعنى صيته صون به
من سراة^(٢) زهرة الدنيا بهم
وميامين^(٣) كرام ورثوا
الكمأة الأمراء الأصفيا
حبذا الصيد الصناديد الأولى
كلهم نجب كرام سيما
يارعاه الله من بدر به
وعلى ما قد حوى من شرف
رتبة ثانية ممتازة
وعن الأولى أتت ناقلة

قمر يمحو سنياه الغيبها^(١)
سجد الحظ له واقتربا
من سماء الرأي ترمي الشهبا
عنه تعريف علاه أعربا
نور المشرق حتى المغربيا
رقص الكون وغنى طربا
أشرققت حسناً ورققت مشربا
شيم الأبرار أمماً وأباً
الثقاة الأمناء النجبا
في بني مخزوم سادوا نسباً
بدرهم أعني السليم المجتبى
أفق المجد تسامى كوكبا
وهب المولى له ما وهباً
حيث عزت عن سواه مطلباً
راية البشرى بما قد وجباً

(١) الغيب: الظلمة.

(٢) السراة: جمع سرّوات، والسراة من كل شيء أعلاه.

(٣) ميامين: جمع ميمون. وهو ذو اليمن والبركة.

المعارضة

هيرة الضان استحالت كيباً
يال له فرن له رائحة
كم به صدر كواج قد ثوى
كم به أقراص عرس نضجت
كم به المعمول في الصدر حكى
كم به بقلاوة حمرا حكى
وشعبيياته^(١) أيضاً البغا
وصفيحات وكبات كذا
حبذا الخاروف في نكهاته
ولا مرق له منها الشفا
من حشاه يدفق الرز علي
ومحاشي نوعت من كوسج
في الصحون النيرات الزاهرا
حبذا اليرق والأدهان من
وكذاك الشيخ للمغشي في

وبييت النار ذاقت لهبا
كم لها اهتز الجيعا طربا
كم به صحن كبيات كبا
سمنها السياح عم التريا
نظم زهر يتلون نجماً كوكبا
لونها خد الصبى عجبا
جا سنا القشطاء منها التهبها
لحمة للصحن عنها أعربا
نافجات المسك ضاعت في الربا
للذي منها احتسى أو شربا
ه من الدهن السني سربا
ثم قرع وخيار ثم با
ت أضاءت في الصواني شهباً
قد ذكاً بتتاً وأماً وأباً
أول الألوان يزهو عجباً

(١) الشعبيات: أو الفطائر. وهي رقائق من العجين تحشى إما بالقشدة أو بالجوز والسكر. وتصنع الفطيرة على شكل مثلث، ثم توضع في صدر نحاسي، وتسوى بالفرن على نار هادئة، ثم يسكب عليها القطر إن كانت بالقشدة.

بين من لاذ به واحتسبنا
وافتخارا فوق ما قد رغبا
لأتم السعد حاز الرتبا

فهنيئاً والهنأ مشترك
زاده الله كمألاً وارتنقى
ما الهلالي قال في تاريخه



وله من قصيدة تخلص بها إلى مدح محمد علي أفندي محسن ، مدعي عموم لواء حماه

إلاً النديم على صفا المشروب
عذب الرواية كيس الأسلوب
شمساً مشعشة بكوكب كوب
غصن النقا^(١) يهتز فوق كئيب
ينفك غضباناً بفتك غضوب
وكفى بسقمي من جفون طيببي
إذ بالغزال تغزلي ونسيبي
جيد وشعر حالك غريب^(٢)
بصبيح وجه بالجمال عجيب
بي شمت الأعداء وهو حبيبي
وبرمخ قد لا بذات كعوب

يا ابن المسرة ما لكشف كروبي
ما شادن غض النوادر منشد
قمر يدبر الراح في غسق الدجى
لذن القوام إذا انثنى تهاً فما
عبل^(٢) الروادف عتري اللحظ لا
حسبي انتسابي بالنحول لخصره
لا تعجبوا من سحر لفظي رقة
والفجر مع تلك الليالي العشر من
ما الصبح إلاً من مجالي معجب
من لي به من مطمع متمنع
يسطو علي بأبيض من أسود

(١) النَّقا: الكئيب من الرمل.

(٢) العَبْلُ: الضخم من كل شيء.

(٣) الغريب: الشديد السواد.

وكمأة القوم جاءت في الصبا
ليس شيء مشبهاً محشياً
ح لها لون يحاكي الذهبا
إن يكن في لبن البدو ربا
كم صبي هام مع شيخ صبا
يارعا الله أكولات لها



المعارضة

من كأس قَطْر لَدَّ لي مشروبي
مع صحن قشطاء به امزجها ولا
بعد الكنافة فاجله بالكوب
تَخْشَ فذا يا صاحبي مطلوبي
والبيض بالسمن المشيح لَدَّ لي
كلا وبالعسل الشفاء بذا أتى
واللحم قمع منه في زمن به
هذا هو المهجون من حجبوه عن
قد حرموه مراتعاً ولذبحه
واستعملوا منه الشواكر والسوا
وiberغل دفنوه مع رز وفي
والهبر منه في البراغل كبة
وكذاك أخرى بالصواني مددت

الخاروف جاء بدهنه المسكوب
رعي الكلاء بكل روض خصيب
قد حَلَّلُوا ورموه بالتعذيب
فل فهو للألبان نعم صحيب
القول الطري وبامة واللوبي
بالدهن قد نضجت بفحم قضيب
والفرن أصلح شأنها بلهيب

(١) قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، سورة النحل: الآية ٦٩.
انظر فوائد العسل في كتابنا «معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي».

ملك الملاح بصنجدق^(١) منصوب
بيواعث الترغيب والترهيب
عني ذللت بحزني اليعقوبي
أعماك عما ليس بالمحجوب
لمعني عندي جواب مجيب
مغرى محباً جن بالمحجوب
للعاشقين اختار خير قلوب
ساقى الرضا في حضرة التقريب
هو غاية المأمول والمطلوب

ملك غدا في صورة بشرية
يقصي ويدني من يشاء إذا قضى
وعزيز حسن يوسفى مذناى
هذا الهوى يا لائمي سبحان من
حتى متى تهدي بلومك صه فما
دعني فإنني لست أول مغرم
للعشق عيش لا أذاقكه الذي
قوم سقاهم من طهور شرابه
وأباحهم كشف الغطا عن مظهر



وقال من قصيدة تخلص بها إلى مديح أمير مكة المكرمة الشريف عون

روحي بطيب الوصل قبل تلافى
فرط النحول غدا كخصر كخافي
أما أنا فمن الجفون رعافى
لك عن لظى هذا الجفاء تجافى
نار لها منى الضلوع أثنافى^(٢)
كلا ولا قتلى من الإنصاف

يا ربة الحسن البديع تلافى
خافي الإله بواله أشفى ومن
كل الأنام من الأنوف رعافهم
يا جنة عذب العذاب بها أما
هذا فؤادي مرجل يغلى على
كفى لحاظك ما الدماء مباحة

(١) السَّجَق: اللواء.

(٢) الأثنافى: جمع أثنفة. وهي أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

سمن جرى كالوابل المصبوب
ت أكثر الأبهار للتطيب
بالسمن طبق المقتضى المرغوب
واسقيه سائل دهنها المصبوب
كم أحياناً شرباً من موات قلوب
تؤذي بلومك للحشا المتعوب
تخشى علي وكنت بالمرهوب
فيه أوفي من الطعام نصيبي
لأكل لويك جلمدا بمذيب

والشيخ للمغشي منها قام مع
يا طابخ الجقات منه والقبوا
واقلي الرؤوس مع المقادم جملة
أو شئت فاصنع لي بخبزك ترده
واكثر عليها اللحم واللبن الذي
ولئن ترى الإسراف في أكلي فلا
فالأذن صما عن ملامك لي ولن
فأنا الذي عندي دواء قاطع
ذا ماء عاصينا^(١) البديع فإنه



المعارضة

وأيت بالقول الوجيز الشافي
د درائر وأجدت للأوصاف
الخاص من زفر وحلو كافي
يف والبغاجا مع صنيع كنافي
من بعد ذا هي مصدر الإسعاف
السفر الجليلة في لقا الأضياف

كم في المآكل قد نظمت قوافي
ونثرت من أبكار فكري من عقو
وشرحت ترتيب الموائد والطعام
وذكرت للكلاج أيضاً والقطا
وعدلت عنها للفواكه إنها
وكثير ما يهتم فيها الناس في

(١) نهر العاصي.

لمريضها إلا لماك الشافي
صافي العقيق لها من الأصداف
ذوائب تهوي على الأكتاف
وحيأ من الأهداب للأهداف
بلور صدر أبيض شفاف
وببرق ثغر للنهي خطاف
فضحت غصون البان بالأعطاف
للخوض في بحر الردى الرجاف
تغزو الأسود بطرفها السيف
أحافظها رومية الأرداف
للمجتلى والمجتني القطاف
ولنا كفى أمر الرقيب الكافي

لك مقلة نجلاء ممرضة وما
قسما بما في فيك من در غدا
والفجر جيد والليالي الشعر سو
وبأعين ترمي القلوب بأسهم
وبحقتي نهدين من عاج على
وبنور شمس ضحى جبين مشرق
ما أنت يا ذات الخبا إلا التي
والدرة المفضي بطالبها الهوى
والغادة الهيفاء أخذع ظبية
عربية ألفاظها تركية
لله بهجة حسنهما من روضة
لم أنس أمس قدومها تحت الدجى



وللهلالي مؤرخاً بيت فرح أفندي في حماه الشطرا الأول عربي والثاني رومي

لجمال بيت حسن بهجته اتضح
لنزيل نعماً ظله تسمو المنح
فرح الذي بدياره فرح الفرح

فلك السرور زهت كواكب أفقه
رعياً له بيتاً ذكياً لم تزل
حيث ابتناه بعز باع سعوده



وأجلها العنب الشهي الأبيض
وكذلك الحلواني والجحافي^(١) بل
وكذلك البطيخ في أنواعه
والحق به قاوونة^(٢) وارجع إلى
والتين والرمان أيضاً والسفر
أما النجاص فلا تسل عن مائه
وكذلك التفاح منه تخال وجنا
والمشمس الحموي يحاكي عاشقاً
والخوخ والعناب أيضاً والخيار
وكذلك النارج مع ليمونة
والجوز ثم اللوز مع كرز كذا
وبقية الأشكال يا صاحي أرى

الزيني فهو جدير بالإتحاف
والأحمر القاني كدم رعاف
شحم لسمن الردف والأكناف
الجبسي^(٣) النبيل مُغسل الأجواف
جل أن تنضج في زمان وافي
إذ فيه كم كان برء ضعاف
ت العزاري أقيت بصحاف
زاد العزول عليه بالإرجاف
كذا وتوت مخضب الأطراف
والبرتقال لكل داء شافي
دراغن بالريح مسك طافي
إهمالها من جملة الإنصاف



المعارضة

لشميم ريح اللحم لما إن نفع
أسقي بدهن من جوانبه سبح
فوقي وعندي تلك من خير المنح

جوع القلوب علت صوائح نجبه
ووددت إن لو كنت منقله لكي
حيث الكباب وحيث ذاك اللحم من



(١) الحلواني والجحافي: أصناف من العنب.

(٢) القاوونة: البطيخ الأصفر.

(٣) الجبَس: البطيخ الأحمر.

وقد اقترح بعضهم على الشيخ مصطفى
وصف بعض الألوان الشامية والتركية
على سفرة بعض الأكابر والأشكال موجودة فقال

عليها القطر فوق الصحن طائف
تبدى فوقه أكمك قطائف
حلالي أكله في يوم صائف
مسيل حليها يا صاح جائف
وأين المن من تلك التحائف
بلذته درى من كان عارف

تويتات أتتنا في صحائف
مع البرك البديعة ثم صدر
وطاووق يمازجه حليب
ودندر ما شكر بالثلج أضحي
وأرضي شوكة فيها التذاذ
وأنكى نار في متروم لحم



ومما سمع للشيخ مصطفى ما هو خارج عن
معارضة ابن الشيخ هلال قصيدة عارض
بها الأبيات المنسوبة للشافعي رضي الله
عنه التي أولها

عزيز النفس من لزم القناعة ولم ييدي إلى أحد قناعه

فعارضها بقوله :

سجقات الغنم باللحم طابت وبالفئات أكلهم صناعه
قباوات إذا حشوا وحطوا يداووا الرأس من ألم الصداعه
ومن الله بالبيرق علينا أصيل الجد من أهل الخلاع
مرادي إن يكن بالصحن عندي لآكل ألف زوج بالقناعه
ولي خاشوقة إلى اللبنيه تجيب الكبتين بلا ارتجاعه
واضربها بصحن الرز تهوي لأسفله ولم تقبل شفاعه



ومما قال حينما
اقترح عليه معارضة هذه الأبيات

أقول لشادن بالحسن أضحى يصيد بلحظه قلب الكمي
ملك الحسن أجمع في نصاب فأد زكاة مبسمك الشهي
فقال أبو حنيفة لي إمام يرى أن لا زكاة على الصبي



فقال أفاض الله عليه من الرحمات

أتخشى أيها الأكال جوعاً
وها فصل الربيع إليك وافي
خصوصاً لية الخاروف خذها
وخاروف إذا ما كان محشي
وقل للناس إن جاؤوا إليه
وكله ولا تعوض منه شيئاً
سجقات إذا منها شعبنا
وجاهد كبة شويت بدهن
وأكل اليبرق الزاكي جدودا
ولا تنفق على الملفوف فلساً
وأما شيخنا المغشي طوبى
أي الله ما أحلى الكنفافة
ورز بالحليب وما يليه
هم الأحباب فاشرقهم سريعاً
وقل للهيطلية روعي عنا
وبطيخ يطيب الجفم منه
وأما الجوز لا تأكله إلاً
أقول: هذا ما وقفنا عليه من منظوماته بعد ما ضاع منها الكثير، حيث
كان رحمه الله بالإهمال شهيراً و لنشرع الآن بمعارضته القدود والموشحات إيفاء
بما سبقت إليه من الوعد منا الإشارات.

الفصل الثاني

في القُدُودِ وَالْمَوْشَحَاتِ

قد رصد

يا بدر حسن كم سهرت أراقبه والليل مالت للغروب كواكبه
ما من كليم الوجد أنت مخاطبه إلا ومغناطيس حسنك جاذبه
للحان والألحان هم يا أخوا الأشجان في الحور والولدان
فالحب دين والجمال مذاهبه

لازمة

ما أطف الخصر النحيل وشاله كم حط قلبي بالسقام وشاله
غصن إذا الواشي عليه وشى له تشيه عن ميل الوشاة مشاربه
من خمرة العرفان

دور

مرت فما أحلى الوفاء بوعدھا هيفاء تخشى الأسد بانة قدها
حمر المنايا دون وردة خدها والصدر يحكي الجلنار ملاهيه
والفرع كالثعبان

دور

يمم حمى جيلان صاح لتشهدا مجلى مصايح السيادة والهدى
واستجل من شمس النقابة سيدا توري فضل في الوجود مناقبه
تعنوله الأعيان



المعارضة

يا صدر بصما كم برزت أحاربه والقطر طابت للنفوس مشاربه
ما من أرز واللحوم تصاحبه إلا ومغناطيس بطني جاذبه
بالكف والأسنان بالله يا جوعان قم سقسق الرغفان
فالجوع شين والطعام يناسبه

لازمة

ما أطيب القرع الطويل أناله لو كان محشياً فبطني أناله
صدر البغاجا جيء به لأناله فهو الذي ضاءت علي كواكبه
مذكان في الأفران

دور

حيث فما أقوى اليدين بشدها برماء همت بلفها وبمدها
أكل القطائف لذلي من بعدها والكشك للفقراء جلّت مراتبه
بالفستق المنصان

دور

يمم حمى الخرفان صاح وجردا منهم إلى المحشي النظم مفردا
واجلس وغب القلي شمر ساعدا يا سعد من أمست يديه تلاعبه
قد غاص بالأدهان



قد رصد جهار كاه

بالله يا باهي الشيم
ما شاقه ذكر العلم
رفقاً بولهان
لـولاك والبان
أظهرت سري المكتتم
في لوحه خط القلم
ما بين دمعي والسقم
إن الهوى حكم حكم

لازمة

بدر منير أم ملك
ما خاب راج أملك
أم أنت إنسان
بالقرب إحسان
نال الشقامع من هلك
سبحان من قد كملك
في كل حسن تم لك

دور

أهوى الجمال المطلقا
إذ مذهبي أن أعشقا
أيان ما كان
حوراً وولدان
يا بدر حسن مشرقا
يدري بذا من حققا
إن الغنا عين البقا

دور

والوعتي من علما
غزلان نعمان

المعارضة

بالله يا شاوي اللحم
ما هُمُّه غير اللقم
قدّم لجوعان
يملي لجسمان
أحييتني بعد العدم
ويا صديراً قد ألم
خاروف محشي محترم
كنافة تبيري السقم

لازمة

رز دفين مأكلك
ما جاع بطن لذلک
أم لحم خرفان
بطول زمان
يا ضلع محشي يا ملك
ما أدهنك ما أدهنك
ما أسمنك ما أسمنك

دور

أكل المحاشي مطلقا
إذ مذهبي إن أشرقا
شفاء أبدان
سمناً وأدهان
قد هاش بطني مذلقا
بأله كسّر فستقا
قطايفاً وقيمة^(١)
واحشي بها المغرّقا

دور

ما أن أحظى بالكما
بأله ما أن

(١) القيمق: يشبه القشدة.

عن جبههم منع اللما
يا تار كين المغرما
سكران من حر الظما
ظلماً وعدوان
في جبههم يبكي دما
يبغي السراب الأوهما

دور

سكري لدى محو الأثر
حيث المعاني والصور
كالشمس في روض القمر
طور على طور انجبر
للدن أدنان
راح وريحان
تجري لأبهى مستقر
من لن تراني قد ظهر

• • •

قد رصد أيضاً

يا من لنا لحظه يكلم
خدك أحسن به وأنعم

لازمة

بقـدك العادل استجارا
ليتـك للصب كنت جارا
ولي بطيب الوصال تنعم
قلب عليه الغرام جارا

دور

سبحان من في الخدود أبدى
يا نار كوني عليه برداً
ثم سلاماً له يسلم
خالاً بماء البها تبدى

دور

بدا، تجلى، أضاء، لاحأ،
والفجر فوق الجبين زاحا
شمسا، هلالاً، نوراً، صباحا
ليلاً على شهبه مخيم

• • •

علي بها إن أصدما مع لحمة الضان
لا سيما لا سيما رز لديها قدما
والسمن فيها عوما فابلع وكبر لقما

دور

قلبي على كشك الفقر لا زال ولهوان
إذ تحته ذاك الزفر من كل ألوان
فاصرف أخي للنظر عن غير أكل مفتخر
ما اللفت عندي والجزر إلا غذاء للبقر

• • •

المعارضة

ما أن للصدر أن ينغم فالجوع في قلبنا مخيم

لازمة

حيا فاشجاننا أثارا لما انتشقنا منه بهارا
خاروفنا * إذ بدا جهارا والدهن منه للقلب مصدم

دور

والرز في القدر قد تهدا ومن بخار له تندي
وشيخنا المغشي قد تبدي أكرم بمحشيه وأنعم

دور

يا صدر بصما شذاك فاحا ومنك جبن لعيني لاحا
القطر شربي لا أبغي راحا وهو كهطل الغمام يسجم

• • •

قد عروض رصد

مـاس تـهـأ * ودلأاً
عـجـبـي
عـقـلـي افـتـن * عـقـلـي ولبـي
آه يا حـسـن * رد الـوسـن

دور

قـلـت واصل * ظـبـي أنـس
وسـرـبـي
عـقـلـي افـتـن * عـقـلـي ولبـي
آه يا حـسـن * رد الـوسـن

دور

وارحـم المـضـنـى * فعـقـلـي
مـسـبـي
عـقـلـي افـتـن * عـقـلـي ولبـي
آه يا حـسـن * رد الـوسـن



المعارضة

هـات رزاً * أبيضاً
ملء اللكن^(١) * يحيي البدن
وكبي
ينعش لقلبي * جوعان

دور

قدم البصمما * بجبن
فالبطن جن * والصدر رن
لجنبي
والقطر والسمن * شربي، مدام

دور

نظمي المحشي * وهاتيه
وارويه عن . أرباب في
لقربي
يا أم حسن . بالله صبي . طعام



(١) اللكن: عن الفارسية لقن أو لکن. تلفظ الكاف جيماً مصرية. وهو وعاء مستدير من النحاس يبلغ عمقه ١٠ سم يطلو داخله بالقصدير، ويستعمل للعجن والغسيل.

«قد صبا»

على وزن: يا سرنو يا سرنو

عني لووا. قلبي كووا. عزاً حووا. وعلى العرش من الحسن استووا

لازمة

دار من تهوى ودع في كل دار مدع في الحب جهلاً غير دار
فالهوى كأس على العشاق دار فيه من فازوا وفيه من هووا

دور

ليت شعري من لقلبي أمرضوا هم إلى الآن غضاب أم رضوا
غرضي هم أعرضوا أم أغرضوا بالتجني أم على قتلي نووا

دور

آه من نار جفاهم والصدود بعد جنات وفاهم والعهود
يا ترى عيشي بهم يوماً يعود بعدما أغصانه الخضر ذووا



المعارضة

لحمًا شووا. خبزاً طووا. بيضاً قلووا. وعلى السمن القبوات استجوا

لازمة

مذ رأني شيخنا المغشي جار راح للمحشي وبالكوسا استجار
أيها القطر انعقد مذ أنت جار لصدور للكنافات حووا

دور

أيها الإخوان للأكل انهضوا وذروا الجوع وعنه أعرضوا
وعلى الخاروف بالكف اقبضوا بأصابع على الصحن هووا

دور

لحمة الضمان شفاء للكبود ليس كالملفوف نفاخ الجلود
وكذاك اليبرق الذاكي الجدود من كرام الكرم عنه قد رووا



قد صبا أيضاً

بدت لنا في طالع الأسعاد يمحو سناها الليل
شمس على غصن رطيب نادى تزهو بجبر الذليل
أخا الأشجان، دع الأحزان وساقينا لنا قد آن
منه الوفا بالكيل

ويا أغصان، على كئيبان أجيوا داعي الأبحان
بالميل كل الميل

دور

لم أنس مسراها بلا ميعاد في غفلة الحراس
وقولها برقاة الإنشاد بشراك زال البساس
عبير فاح، هزار صاح ونادى! قم بنا يا صاح
للأنس والإيناس

ونجم لاح، بشمس راح وقد أهدت لنا الأفراح
وللعزول الويل

دور

ريح الصبا من حي ذاك الوادي ذا ربة الأستار
بنت الخبازات الجمال البادي فضاحة الأقمار
فلو يا خال نظرت الخال وشعراً مد للخلال
سلاسل الأقدار

ودراً حال، بثغر حال فتاة طرفها بالبحال
تردي غزاة الخيل

المعارضة

الجسم لا يقوى بغير الزاد ولا يشهد الحيـل
ولحمة الخاروف لحم نادي والدهن منه سيل
أنا الزحان؛ بالأسنان لكل الأكل يا إخوان

للجوع مالي ميل

ولي مصران في جسمان دوماً لم يزل مـلآن
في يومه والليل

دور

خاروفنا المحشي على الأباد حقاً يزيل الباس
وقرعنا اليقطين ذو الإمداد طابت به الأنفاس
ودهن ساح، بلحم راح يقيت الجسم والأرواح

بالرز والقلقاس

وعطر فاح، بالتفاح وكفي لم يزل مساح
للمر عندي كيل

بالبيرق عج، طيب الأجداد إن منك جوع ثار
وشيخنا المغشي مروى الصادي من سمنه المـدرار
إذا ما انسال، كسيل سال رحيق منه كالسلسال

تجلى به الأكدار

ورز غال، بسمن عال عليه اللحم لما انهال

يحكي ظلام الليل

قد صبا: ماني قربانك ماني

روح صـبـ ولـهـان حـور بـيـن الـولـدان
والشادي يدعو الساقبي يا سلطان الندمان

لازمة

لاحت من خلف الأستار شمس تزري بالأقمار
لو حلت شهب الأزرار عن صدرها النوراني

دور

ما هند لكن حسنى ذات الأوصاف الحسنى
ما أسنى منها الحسنيا مقروناً بالإحسان

دور

قلت رفقاً بالمهجات قالت عن عجب: هيهات
كم من جنات الوجنات أكبـاد فـي النـيـران

دور

من لي بالطبي الأغيد ذي القـد الزاهـي الأملـد^(١)
ما أحلاه بعد الصد إذ حيانـي أحيـانـي

دور

وحد مولى قد ولاه قلباً لم ييرح يهواه
بدر عوذت مجلاه بسم الله الرحمن

(١) الأملد: الناعم اللين من الناس والغصون.

المعارضة

من لحم الزاهي الضان قدم محشي الخرفان
وأدر لي يا ساقبي كأساً من الأدهان

لازمة

جاءتنا من بيت النار كبة تجلو الأكدار
والسمن منها مدرار يطفو فوق الصوانبي

دور

ما لذي الجوع المضنى غير ذي الدهن الأسنى
شيخنا المغشي يعنى فني أول الألسوان

دور

قلبي لتلك الفتات كم به قامت حسرات
فابعدوا صحن الكرات يا صحبي عن عياني

من لي وافي بعد الصد اليبرق الزاكي الجدد
منه أكلي بلا عد لا يكفينني الألفان

دور

جل مولى قد أعطاه طولا في أصل مبناه
قرع لو يحشى ناداه كفى! أسرع تلقاني

قد صبا : أمان يا إما على أدروبيا

يا ما أحيلى' المبسم التركيا يحميه لحظ شاهر هنديا

لازمة

بلغ تباريح الجوى عن وجدي يا ليتني قبل النوى والبعده
أسماء يا ريح اللوى من نجد لو كنت بالثرى نسيا منسيا

دور

والفجر مع تلك الليالي العشر والشفع من أززارها والوتر
من فرقها الماحي ظلام الشعر لالزت منها راضيا مرضيا

دور

ما كان معسول اللما أوفاه بدر لنا قد أطلعت كفاه
لو منه قبلت الطلا أوفاه من شمس راح كوكبا دريا

دور

ناديت لما أن بدا بالبشر ما ضره لو بالتداني يشري
هذا غلام بالغواني يزري قلباً على أحزانه مطويا



المعارضة

يا ما أحلى الكبة المشويا لو عوضت عن شحمها بالليا

لازمة

بالله اشوي يا خليلي عندي كي أنتشق نفحاً ذكي كالند
أقراصها جلت عن ضبط العد والبعض منها ضعه باللبنيا

دور

حيث مساء تنجلي بالصدر بصماء منها السمن أضحي يجري
منها أدر لي صاح كاس القطر فمنه سكري لا من الحميا

دور

ما آن للخاروف أن ألقاه شكراً لمن في حضرتي ألقاه
والرز لما إن بدا سنه بهاه فاق الكوكب الدرّيا

دور

على الكماية اليوم عزّ صبري عنها متى تأتوا لنا بالبشر
ماذا عليكم لو جبرتم كسري في صحن منها إن يكن محشيا



قد صبا : لله يا ابنة

ما أسعد الصبحة بالطلعة البدرية
والشمس منها تجري كواكب درية

لازمة

عن ذي الجمال السامي لم تلمني لوامي
لا والعذار السلامي والطُرة^(١) السنية^(٢)

دور

من لي به من أغيد ريم يصيد الأصيد
حلو التثني مفرد ذوقامة خطية

وافى مدير الخمر والخذ الزاهي الزهري
فانهض لشم العطر من وردة جورية

دور

إن لم تعدني عدني فالشوق داء يضمني
يا يوسفني الحسن أحزاني يعقوبية

(١) الطُرة: الجبهة.

(٢) السَّني: الرفيع «مقام سني».

المعارضة

عقولنا مسيية بالكبة الصينية
والسمن منها يجري سحائباً سخية

لازمة

شوقي نما للبامي إذ غاصت بالألحام
والدهن منها طامي مشارب هنية

دور

سبحان من قد أوجد يبرقنا الزاكي الحد
على نعماه يحمد بكرة وعشية

دور

بصماء ضمن الصدر قد كُلت بالقطر
حمرا سناها يذري بالأنجم الزهرية

دور

قد لذلي بالجبن قطايف لوتدني
عليها أمسى بطني ذو نغمة شجيرة

(١) البامي: البامياء.

دور

للحمان والألحمان والراح والريحان
هيا أخوا الأشجان نسكر مع الجمعية

دور

إن كنت بالأفراح ماحي دجى الأتراح
فاشرب عجوز الراح من راحة الصيبة

• • •

وله قد محير

هيج الأشواق والشجنا منشد غنى فاطرنا
تسلب الأبواب نغمته كم سبى صبا وكم فتنا
يا سقاة الراح خمرتكم حلق الأذكار موردنا
إن طوتنا عنكم غير فشراب الراح ينعشنا

• • •

دور

لموسم الخرفان ما زلت كالولهان
أنعم به تلقائي ذا هممة عليه

دور

أدر لي كاس الراح من دهنه السباح
فقد نفت أتراحي نفحاته العطرية

• • •

المعارضة

قطع المعلاق والدهنا وأقله بالسمن يصدمننا
تنعش الأكباد نكهته كم بهاراً منه أنشقنا
يا رعاة الضان غنمكم أن منها تحلبوا اللبننا
إن تبدى القيمق ابتدروا نحوي وأملوا منه لي لكننا^(١)

• • •

(١) اللكن: سبق تعريفه.

قد نوى : يا لابس الأبيض على التفاحي

بادر فنون الراح في الأقداح قد لاح كالأرواح بالأشباح

لازمة

إن المداما كم برت أسقاما كفوا الملاما معشر النصاح

دور

فاشرب زلالاً لا تخف إذلالا والكاس لالا سقط زند الراح

دور

كانت وجرمي قبل خلق الكرم بالشهب ترمي ماردا الأتراح

دور

سعى بها من للبرايا أفتن إن ماس يطعن طعنة الرماح

• • •

قد: حجاز كار

نبه الندمان صاح إن داعي الأنس صاح
حيث من أيدي الملاح لاح نور الكأس لاح

المعارضة

أدر كؤوس الخمر بالأقداح فالصدر وافى وانجلت أترحي

لازمة

بصما إذا ما القطر فيها عاما فلا ملاماً شربه كالراح

دور

جبن تلالا في حشاها جالا والسمن سالا منعش الأرواح

دور

لو كان قسمي صدرها بل رسمي لكان جسمي يزهو كالمصباح

دور

حيا وقد رن والحشاله حن ما السلوى ما المن كسمنة الفواح



المعارضة

قدم الخرفان نحاحي إن داعي البطن نحاح
حيث من لحم الأضاحي راح همُّ الجوع راح

دور

سيمما والغييم يسجسم
وررياض الزهر تبسم
دمعه فوق البطاح
عن ثغور من أقاح

دور

كوكب الحسن أدارا
طور خديه أنارا
في الدجى شمس النهار
منه لي نور ونار

دور

يا كلیم العشق كلم
فالهوى العذري يعلم
عاذلي ما العشق عار
أهله خلع العذار



قد نهاوند: بفتة هندي

أنت عندي جل قصدي
فاشفِ وجدي بعد بعدي
قام يجلو الراح بدري
ولأ بهي مستقر
يا بديعاً بالصفات
باللقا قبل الفوات
بين ولدان وحوار
قد جرت شمس السرور
لحظه ما في الصدور
قوله لي خذ وهات
لست أنسى حين سكري

دور

سِمْما والِدَهْن يَصْدَم شَرِبَه يَشْفِي الجِرَاح
وَكَمَاج الخِصَاص يَؤْذَم مَعَ قَبَاوَات مَلَّاح

دور

مَنْسَف الرِّزْ أَنَارَا بَسْنَاهِ الاعْتِكَار
وَعَلِيَه السَّمْن دَارَا فَاَنْتَشِقْ شَم البَهَار

دور

وَعَلَى المَحْشِي فَدَمْدَم صَاحِ وَاخْلَعِ للْعِزَار
وَالِى الكِبَّة قَدَم قَد سَبْتْنَا بِاحْمَرَار



المعارضة

هَام وَجِدِي يَا آلِ وِدِي بِاللَّحُومِ الزَاهِرَاتِ
إِنْ قَصْدِي أَلْقَى عِنْدِي صَحْنِ مَحْشِي مِنْ كَمَاةِ
فَارِ دَهْنِ اللَّحْمِ يَجْرِي مِنْ عَلَى وَجْهِ القُدُورِ
وَاسْتَوَى الخَارُوفِ بَدْرِي فَأَحْلَهْ لِلصَّدُورِ
نَشَاتِي مِنْ كَاسِ قَطْرِ لَا بَكَاسَ مِنْ خَمُورِ
مَنْ يَلْمَنِي لَيْسَ يَدْرِي بِالمَحَالِي الطَّيِّبَاتِ

دور

زارني والليل جنا مخجلاً شمس النهار
ماس واختال وغنى بانة، ظيماً، هزار
والذي سواه غصناً زهره في الخدنار
ما سواه الفرد حسناً في السورى معنى وذات

دور

ما لغزالي ومالي في هوى باهي الجمال
مربي والثغر حالي ساحباً ذيل الدلال
قلت قف وانظر بحالي مذ لوى عني ومال
إن عهدي بالغزال ذو وقوف والتفات



قد بيات : على نغم

أياليت العشق لا كانا سلب منا العقول
تداعى الكون أحزاننا لفقد ابن الرسول
أمير كان يرعانا وبالحسنى يقول

لازمة

لعبد القادر الندب أديموا يا أنام
مزيد النعي والندب ولا تخشوا ملام
من العلياء للترب هوى البدر التمام
ومجلاه من الغرب وبالشرق الأفول

دور

قد أذاب القلب منا يبرق ذاكبي النجار
حيثما قد غاب عنا وأوان الصيف دار
قد حوى سمناً ودهناً مع لحم وبهار
شيخنا المغشي المكنى كم له من نفحات

دور

قرعنا الزاهي حلا لي سيّ من رزق حلال
مالي والملفوف مالي قلبي للمحشي مال
كيف إن يأت بيالي وعليه الثور بال
إن قصدي وسؤالي في الخضار الطاهرات



المعارضة

دوام الجوع أضناننا أما أن الوصول
لصدر فيه ألواناً حوى كل الأكل

لازمة

لقلب المغرم الصب هلموا بالطعام
ومنوا بصواني الكبي إنني في سقام
أحيلوا الرز للسكب فلي فيه مرام
إلى كم تسمعوا نجبي وأنتم في فلول

دور

مصاب أصبحت رمداً به عين العـلا
وخطب جل واشتدا فلا حول ولا
وحتم للثرى أهدي وليلاً أولاً
وغوثا كفه أندي من الغيث الهطول

دور

سلبت المجد والفضلا جهاراً يا منون
وصيرت التقى نكلى بنيران الشجون
فيا عين اذرفي هطلاً وفيضي كالعيون
على فرع زها أصلاً إلى الزهرا البتول



قد شاركاه

قم يا أمير الغزلان كي نفسي الأتراح
واسمع لصوت العيدان في وقت الصباح
واترك قول اللاحي واحذر تغدو صاحي
فالحب قد وافانا في وقت الصباح

دور

لاحت شمس الأذنان من أيدي الملاح
والطير فوق الأغصان قد غنى وصاح
واترك قول اللاحي واحذر تغدو صاحي
فالحب قد وافانا بوقت الصباح

دور

فهذا القرع قد مدًا وللقطف حلا
وغب القطف أعدا وللمحشي انجلى
وكبش جاء واشتدا وبالسمن اتقلي
وعنه صاح لا بدا أرى لي من حصول

دور

فشيخ المغشي قد جلا بمـرآة العيون
وفي ضمن الحشا جلا فنحن في شجون
وطاب الرشف لي نهلاً لهاتيك السمون
وفيه لا أرى عزلاً فاقصري يا جهول



المعارضة

قم سقسق الرغفان إن الدهن ساح
وجيء بخاص الألبان من بني رياح
فاللحم لي صاحي شفاء أجراحي
فالجوع قد وافانا والفتؤاد صاحي

دور

قد جاء وقت الخرفان والريبع لاح
فانهض وهيء ألوان بسمن الشياح
فالدهن لي راحي مزيل أتراحي
عدل الكما فاجا في وقت الصباح

قد جهار كاه أيضاً

روق خمرة العرفان في حان ابن الجيلاني
فهو ابن الباز الأشهب محمد عالي الشان

دور

حيته من بغداد مواهب الأمداد
وفاز بالأسعاد من جده العدناني

دور

حيث أخت الشموس من حضرة القدوس
واجعل بدء الكؤوس بسم الله الرحمن



قد حجاز : شمس الحسن

شمس الحسن تجلى لي فوق الغصن
راحت تنني جيد الحال كالغزلان واي

دور

من صدغيها والجمدي أم برديها
أم خديها عطر الورد والسوسان واي

المعارضة

قدم محشي الخرفان في مرقة الأدهان
والرز يحكي الفرقد مع سائر الألوان

دور

والقـرع ذو الإمداد والشيخ المغشي البادي
وأصيل الأجداد ابن الكرم المنصان

دور

حيث فوق الرؤوس بصماء كالشموس
والقطر للنفوس شفاء للأبدان



المعارضة

كاس الدهن يحلالي من اليخني
وبالسمن إذ يقلى لي لحم الضان واي

دور

من صدرها كم تبدى مع سمنها
في لونها بصما تبدى عطر الشان واي

دور

يا محبوبي قم واشرب من مشروبي
صافي الكوب عذب المشرب عالي الشان واي

دور

روض الأنسس يغشاه روح القدس
نجم الكأس قد حياه بالألحان واي

دور

بـــاز الله يحميني سامي الجاه
هي محيي الدين هي جيلاني هي

دور

في بغداد للحق بادي نعم الهادي
أهل الصدق هي جيلاني هي



دور

من اللوبوي كل واطرب يا محبوبي
إذ مطلوبي معها يصحب باذنجان واي

دور

لحم السراس حياه منفي الباس
صبغ السورس^(١) إذ يغشاه والزعفران

دور

قرع الزاهي اليقطيني محشي ناهي
قم بالله صاح اسقيني من أدهان واي

دور

دهن بادي للشرق لحم بادي
بالأيادي بادر سق الرغفان واي



(١) الوردس: نبت من فصيلة القرنية، ينبت في بلاد العرب والحيشة والهند، وثمرتها قرنٌ مغطى عند نضجه بغُدَدٍ حمراء، ويستعمل لتلوين الملابس الحريرية، لاحتوائه على مادة حمراء، وعلى راتينج.

قد : قم شرف منزلك يا مغربي

من رأى شمس الضحى في الغيب طلعت فوق جبين الكوكب

لازمة

لي حبيب قد غزاني طرفه وسباني بالثني عطفه
وبراح الكأس ساق لطفه راح يدعونا لأهنا مشرب

دور

كيف أصحو من هواه أو أفيق لا ومن في ثغره أجرى الرحيق
كم به غار صديق من صديق وصبا شيخ كبير مع صبي

دور

بشر لي زار أم بدر تمام لاح لي يا بشراي أم هذا غلام
يا غصون البان إن هز القوام فاسجدي طوعاً له واقتربي



المعارضة

حبذا لبنية في الكبيب طبخوها في بلاد العرب

لازمة

عسل النحل حلا لي قطفه ومع القُمَّم^(١) يحلو رشفه
والعجين الخاص شرط لقه في بغاجات بسمن طيب

دور

اجعل الكلاج بالقطر غريق والقطايف عنده نعم الرفيق
كم من المعمول قد شمنا بريق لاح منه وهو ضمن العلب

دور

جاء صحن الرز في بدء الطعام لامعاً بالنور يمحو للظلام
ساح منه السمن كالغيث الركام منه لا من كاس راح مشربي



(١) القُمَّم: قنينة يجعل فيها ماء الزهر أو نحوه.

قد: صبا

أعن دلال جفتني ربة الخدر نور العين
ما سبب اللوم ياكل المنى
أم عن ملال وصد أظهرت هجري يوم البين
ذا عجيب اليوم زرتم حيناً

دور

يا طلعة البدر يا شمس بلا فلك أنت سؤلي
فلم حجبني يا ذات العجب
مهما سألت على رغم العدا فلك فمتى وصلي
فظما قلبي عن شوقي ينبي

دور

يا يوسف الحسن بالله العلي آمن وارحم واعلم بهواك
إنني يعقوب الحزن
حماك قلبي ومن حل بالحمى آمن وارضى واحلم فرضاك
يدني عيني للأمن



المعارضة

بلا سؤال أتتني ابنة القطر وفي صدرين
ما سبب الصوم حيت عندنا
بصماء نفحاتها بالسمن كالعطر من وجهين
قد وجب اليوم منها أكلنا

ياربة القدر ذا الجوعان أم لك خل المظلي
من كما صبي تنعش لقلبي
حاشا تردي لراج كان أم لك بلا سؤلي
طالما قلبي بطبخك مسبي

يا طابخ القرع اليقطين في طاجن أما تعلم
أودراك أني أصبو للدهن
خاروفنا في فؤادي حبه ساكن وبه مغرم
فعاك تدنيه نحو البطن



قد: سیکاه

بدر لشمس الضحى تحوى أباريقه لك أسفر
فيه أسكر وتحذر من فصال اللحظ المشهر

دور

ما رمت مزج الطلى إلا أبى ريقه هو أهدي
لي شهدا وتبدا وحوى بالخد وردا

دور

جينه الصبح قد لاحت نماريقه^(١) لنضيدي
ووريدي وفريدي في سلك الغواني الغيد

دور

وفرقة الليل من جمعي تفاريقه لصفانا
قد دعانا وسقانا وجلا عنا الأحزاننا

دور

زارت ولليل ذيل كاد أن ينكف بجلاها
وجلاها وطلاها جل من قلبي ولاها

دور

خود حكى عن تميم منها خضاب الكف وكعيني
دمع عيني وبينني من دمعي مرج البحرين

(١) التَّمْرُق: الوسادة الصغيرة يُنكأ عليها، وجمعها نمارق.

المعارضة

صدر لكبش حوى أحصي تفاريقه عنه أسفر
قد تحمر وتعصفر وحشي لحمأ وصنوبر

دور

إن رمت بالكف أستقصي تخاريقه لي أبدى
منه ندا مذ تبدا وحوى سمنأ وزبدا

دور

رحنا ولم نحظى منه في معاليقه لعشانا
قد كفانا هوانا لا كان الإفلاس لا كانا

دور

عليه أبادنا أمست محاريقه يوم عيدي
بالوعيد من بعيد لا تعلننا يوماً بمفيد

دور

حيت مساء لنا بصماء في منسف قد حواها
قد علاها قشطاها من كف حسين قد سواها

دور

برماء أيضاً بها المقدور قد أتحف يميني
عن يقين وبيديني مثلها لم تنظر عيني

دور

قل للعزول الذي عن جبهها استتكف دع قيلك
ومقيلك وقيلك واجعل الإنصاف دليلك

دور

كم مغرم في هواها دمة أو كف هيماننا
فتدانى حيراننا لا كان النوى ولا كانا

قد: سيكاه

كم بالتي في مهجتي من مقلتي دمعي جرى
كالسحب يهمني على الثرى أسرار كتمي قد أظهرنا
من ذا معين للعاشقين يا ذا الفطين بين الورى
رفع التكليف الحب الحب منع التكليف الحب الحب
يا محبوبى الحب الحب



دور

قل للذي في طيخ الرز قد أسرف لا يملك
لقليلك عزولك واجتهد في بسط نزيلك

دور

وأكثر إذا رمت بالإفضال أن تعرف ألوانا
لا تتوانى كي تصاننا وتنفي عنك الأحزاننا

المعارضة

وافرحتي وابهجتني بالكبة التي أرى
ضمن الصواني محمرا والسمن منها قد جرى
صدر حصين فيه الثمين له طين أن ظهرا
خلي التعنيف لي صب لي صب ودع التكليف لي صب لي صب

دور

والوعتي واحرقتي من طبختي المجدرا^(١)
القلب منها تفترا فاصرفها عني مع الدرا
كم لي أنين إلى الدفين أين المعين داعي القرا
خلي التعنيف لي صب لي صب في صحن نظيف لي صب لي صب

دور

ما بغيتي إلا التي بالجينة تسبي الورى
بصماء منها سمن سرى قد حازت لوزاً مع سكر
قطر ثخين يحكي العجين للشارين قد صيرا
خلي التعنيف لي صب لي صب في صحن نظيف لي صب لي صب

(١) المجدرة: أكلة شعبية، يسلق فيها العدس حتى ينضج ثم يضاف إليه البرغل الخشن والماء حتى ينضج، ويصب فوقها البصل المفروم المقلي بالزيت.

الفصل الثالث

فِيمَا عَارَضَهُ الْمُرْحُومُ زَيْنُ الدِّينِ مِنَ الْمُنْظُومَاتِ

لغير الهلالي رحمهما الله تعالى؛ فمن ذلك

ما عارض به قدماً للمرحوم الشيخ أمين الجندي^(١)

الشاعر الحمصي صاحب الديوان الشعري المطبوع:

قال الجندي

شمس النهار فوق الجيين تكسو الدراري نوراً مبين
بالجلنار لو تعلمين بالجلنار والياسمين

دور

شمس توارت بالحجاب والشهب غارت والبدر غاب
سلماي سارت بين الهضاب وقد أثارت نار الحزين

دور

أقمار حسن تحت الشعور والعجب يثني منها الخصور
قد علمتني هتك الستور لما رأتهني مالي معين

دور

بنت الشموس أخت القمر تجلي كؤوسي وقت السحر
عن القسوس تروي الخبر موت النفوس للعاشقين



(١) شاعر من أعيان حمص (١٧٦٦ - ١٨٤١م) له ديوان شعر مطبوع. وفي شعره كثير من الموشحات، وتواريخ الوفيات الشائعة في أيامه.

فعارضه زين الدين بقوله

أكل التماري بعد الدفين له افتقاري في كل حين
أهـاج ناري ضلع السمين والسمن جاري للشاريين

دور

أدهان ثارت من الكباب والصحف دارت والأكل طاب
بصماء زارت بعد الغياب حمراء نادت للناظرين

دور

دقت بجـرن بلا فتور كبة فرن صنعة حور
مدت بـسمن يجلي الصدر شفاء بطن للجائعين

دور

لحم الرؤوس خاص الزفر غذا النفوس إذا حضر
أزل بؤوسي وانف الكدر واملاً كؤوسي قطراً ثمين



وقال الجندي أيضاً

تجلت ربة الخدر فأخفت طلعة البدر
هلموا واسكروا سكري بكأس السيد البكري

لازمة

أدر يا أيها الظمآن لحناني واسمع الألحان
ففي أوتارنا قد حان تجلي الشفع بالوتر

دور

هلموا أيها العشاق لورد المنهل العذب
وزمزم حيث كأسي راق ودع من لا درى يدي

دور

ومت وافنى بنا تبقى وفي مرقى العلا ترقى
وكن إذا غنت الورقا فتى الأشجان كالقمري

دور

أنا المصري أنا الشامي أنا ذو المشهد السامي
أنا بحر الندى الطامي فغوصوا تدركوا دري

فعارضه زين الدين بقوله

أدر يا حامل الصدر لنا كأساً من القطر
أدر واملأ لجسماني من الألحام بالقدر

دور

وداوي جسمي التلفان بمحشي من الخرفان
وسق اللحم بالرغفان وخلي دهنه يجري

دور

وبالقشطا مع السكر يكاد الصب أن يسكر
وناهيكم إذا أسفر صباح الرز كالفجر

دور

وللكنافة البصمة منافع تبرىء الأكمة
فواشوقي إلى لقمة بأحشائي غدت تسري

دور

أيارغفان مغطوطة^(١) غدت في القطر مخطوطة^(٢)
فمنك النفس مبسوطة بلا ريب ولا نكر

(١) المغطوطة: يوضع الحليب الطازج في صدر ويغطى طوال الليل. وفي الصباح، يوضع رغيف الخبز التثوري على سطح الحليب، فيغطى الخبز بطبقة من القشدة، ويؤكل مع السكر أو القطر.

(٢) مخطوطة: موضوعة.

دور

أنا در الهوى المكنون أنا قيس الهوى المجنون
وعلم الظاهر المخزون بدا من منزل الأمر



وقال الجندي على وزن؛ يا أبو خديد احمر وردى

يا قاتلي أوفى وعدي وارفق بحال المولع
قد ذاب قلبي بالصد وفي الهوى ماذا أصنع

لازمة

قد لاح في شهر الصوم بدر تسامى في السوم
وفي هواه يا قومي فالطرف مني لا يهجع

دور

حلو اللمى مر الصد قد همت فيه من وجدى
وفيح تفاح الخد منه حكى المسك الأضوع

دور

يا بدر فاسمح للصب بالوصل دوما والقرب
فالبعد حقاً يا حبي قلبي ولبى قد قطع

دور

لو كنت يا بدري تدري بحال ذلي والقهر
واصلتني بعد الهجر وجدت لي فيما أطمع



دور

أنا المشتاق للمحشي الذي في رزه محشي
كذلك شيخنا المغشي حقيقاً صاحب السر



فعارضه زين الدين بقوله

من غير فتات الترد البطن مني لا يشبع
ما مقصدي إلا وحدي خاروف محشي أبلع

لازمة

هات الكماية نقيها والرز واللحم أحشها
وللكف منك أغمس فيها وللقم كبر وأبلع

دور

لا شك أن الكلاج للداء أضحي علاج
وصح أن البغاج ما مثلها حل وينفع

دور

السمن بالبيض المقلي أضحي مدامي مع نقلي
وبالشوندر والفجل واللفت ربي لا يجمع

قد زاد شوقي للصدر بصماء حفت بالقطر
إذ سمنها أضحي بجري من كل حلواء أنفع



قد على نغم : تاه الفكر يا ما يا دلعونا

هاتوا من الرز بحليب أصحونا رشوا عليه سكرأ مزحونا^(١)

لازمة

أنا المعني بالكباب المشوي والبطن مني كم عليه يدوي
وفي الحلاوة عادتي كالبدوي بالحلو دوماً لم يزل مجنونا

دور

من لي برز جيد بلوري كقبة قد كللت بالنور
واللحم في أعلاه مقلي دوري شفاء صب قد غدا محزونا

دور

خاروفنا المحشي ما أبهاه حياه ربي إذ بدا حياه
كالرمح كفى مزقت أحشاه فخر ما في وجوفه مخزونا

دور

يا كبة دقت بجرن الصخر قد نضجت بالشوي فوق الجمر
والدهن مثل السيل منها يجري لله نفع ينعش المغبونا

دور

قطائف حيت مساء تجلا من بعدما بالسمن راحت تقلا
والجبين منها كاد يجري سيلا لو لم يكن في قطره محصونا
وهذا آخر ما وقفنا له عليه من القدود والموشحات. والذي غاب عنا
يرجع عليه بمرات.



(١) مزحوناً: أصله مسحوناً. أي مدقوقاً.

الثناء

وحيث أترع الديوان، مما صدر عنه في الأول الإعلان، وجاء يرفل في
حلل البها والإحسان، فلنذكر بعض قصائد مرثي وتواريخ وضعها بعض الأدباء
بعد موت الشيخ مصطفى يصفون بها أحواله على سبيل التفكّهة. منها قصيدة
البارع الأديب والشاعر النجب عبد الهادي أفندي الوفاي وهي هذه:

عزوا المآكل سادتي وتفقدوا
من حيث ناعتها قضى وهو الذي
ألوانها فلعلكم أن تزهدوا
دوماً يعظم شأنها ويمجد
ومنها:

بكت الدنا لفراقه واستوحشت
وتقول في إنشادها يا سيدي
والأكل صاح على المدارج قائلاً
لا سيما الخاروف نادى من بقي
قد كنت يا ليث المعارك مذ ترى
قل لي لمن يا ذا المحب تركتني
من ثم بعدك للموائد وارث
الأرز نادى من صميم فؤاده
وغدا إلى الكعب الصواني قائلاً
قدمات سيدنا ومادح لونا
ومنها أيضاً:

من عادة المرحوم كان إذا بدا
في الأكل يرغي كالبعير ويزبد

وعلى الأخص إذا ابتلى بفريكة
وإذا اكتفى منها يقوم تكلفاً
وبراحة كالرمح يطعن صدرها
لما يرى صدر البغاجا بارزاً
ويقول حين يرى الكنافة تنجلي
كم وقع الزلزال في عرصاتها
تسعون زوجاً كان يأكل جالساً
وإذا أتوا بالكشك صاح أحبتي
ولمثل هذا قربوني دائماً
تبأله من أكلة مبعوضة
يا أيها الملفوف لا تسمت به
قد كنت تسمع ما يقول بنظمه
لا تسمتن به ودع ما قد قضى
هذا ابن زين الدين مداح النبي
لا زال يمطر قبره سحب الرضى
أو ما رثى عبد الوفا في نظمه
مذ غاب ذاك البدر صاح مؤرخاً



لا يستطيع بأن يقوم ويقعد
من غير نفس للمحالي يورد
ولمن تفرق بالأصابع يحشد
يهوى إليه ولا يدعه يبرد
يا مرحباً ببديعة تتوقد
ودعا القطائف شملها يتبدد
ويقول ما أنصفتموني زودوا
كشوا الفقير عساه عنه يبعد
لا تذكروا الملفوف ذاك الملحد
تدع البطون كما المدافع ترعد
وتقول قد مات العدو المفسد
حياً ودوماً في أذاك يندد
إن الكريم على السماحة يحمد
حاشاه يشقي والشفيع محمد
ما الطير فوق الغصن راح يغرد
شهماً عليه ناره لا تخمد
يا مصطفى أنت الحبيب المرشد

ولبعض الأدباء أيضاً هذه المرثية

وبالسفر الجليلة ذو التصاق
مجيد النظم ملتزم الطباق
وخلفها بوجود واحتراق
بها وصريح حب واشتياق
كهطل الغيث سح من المآق
له حن الطعام وكان واقى
فأحرز فيه مضممار السباق
وأرغب كل زاهد ذا شقاق
شديد الحزن من ألم الفراق
ودهنك أن يسيح إلى الزقاق
على متن الوجوه بلا غلاق
المقيد فيك مطلق الوثاق
أسيحي السمن دوماً بانهراق
لملعة كمسحات السواقى
فأنت اليوم في ضيق الخناق
تسود من فحومك بالدقاق
مبيد اللحم من قصع العماق
كثير أن يقلل بالسحاق
فقدت وفيه تعلقو للتراقى

ألا من للمآكل ذو اعتناق
ومن بمحاسن الألوان يغدو
وقدمت ابن زين الدين عنها
لعمري طالما أبدى ولوعاً
وأرخص في غوالي الأكل دمعاً
وشبب في ضواحي الأرض حتى
وسار نظامه شرقاً وغرباً
وقرب للمآكل كل ناء
فمالأكل لا يبدي عليه
ومالك يا طناجر لا تخري
ويا تلك القدر أما تكبي
وهلا كنت يا خروف بعد
ويا تلك الكبائب في الصواني
ويا أرزاً عدمت اليوم حقاً
ويا محشي فقدت وسيع حلق
ويا لون السوافل ذا بياض
وقل للشاكرية قد تولى
فمن لليبرق الزاهي بعد
ويا ضلعاً لحلقوم ابن زين

فهلا للكفاة نعيث شخصاً
وتخبر بامة الخضرا بروض
ويا جقات مع قبوات هذا
أديموا الندب والأحزان حتى
ويا تلك المحالي لو عقلتم
فكم في وصف بصماكم معان
وفي البرماء أيضاً والبغاجا
وفي البقاوة العظمى وكشك
بشركم لنظم ابن الهلالي
فلولا عنده كتتم لآلى
وأودع بالهلالي نار غيظ
وكان على تعريده صبوراً
وظني ليس يخلفه زمان
وعن دار الفناء إذا تناءى
عليه من المهيمن كل وقت

محباً عل تؤذن بالمحاق
عساها تقوم حزناً فوق ساق
فراق ما به أبداً تلاقي
ييدد حشوكن على الرقاق
لحولتم إلى مر المذاق
أتت منه بألفاظ رشاق
وفي المعمول من حسن اتساق
إلى الفقراء كان أخا احتراق
أتى ييدي التقابل للوفاق
لما ضاهى بكم درر الحقاق
تشيب باضطرام واصطلاق^(١)
وكم فيه تجشم للمشاق
ولا لعلائه طمع اللحاق
فهذا الذكر حتى الحشر باقي
سحاب اللطف يهمل باندفاق



(١) اصطلى: من صلقى. وصلقه القوم: أوقع بهم وقعة شديدة.

وقد كتب أحدهم وصية قبل موته جاء فيها :

بليت بعلة الجوع ارحموني فإني حل بي ريب المنون
أؤمنكم وقد زادت شجونني أنا إن مت حالاً لقحوني
على فرش الحلاوة غسلوني
على نفسي فإني كنت جان وفي حب المآكل صرت فان
فخبز الخاص هاتوا من جفان واشووا حول نعشي لحم ضان
وفي أقراص كبة بخروني
وطوفوا حول نعشي في قدور معمرة بضأن أو جزور
وهموا بالقدوم بلا فتور وهاتوا لي مشايخ من صدور
بها الأشكال تلمع بالصحوني
إذا برزت وصار القلب يخفق على الألوان والأحداق ترمق
فعبوا للصفوف بلا تفرق وخلوا الذكر بالأحناءك يطرق
وديروا الماء بالعاصي^(١) الحقوني
أنا المفتون في حب الطعام وفي أوصافه يحلو كلامي
خذوا نعشي بحيث قضى مرامي وهو جوا ثم موجوا من أمامي
إلى أن توصلوا قبري ادفنوني
فلا بمقالتني تغدوا بوهم تظنوا الدفن في أرض وردم
ولكنني أزودكم لعلم بمنسف رز مطبوخ بلحم
فيا إخوان فيه اطمروني

(١) نهر العاصي.

إذا شئتم يدوم لي انتعاشي اجعلوا بسنوبر المقلي فراشي
ورشوا اللحم من فوق القماش وابنوا كل قبري من محاشي

وأتوني ببرما وابرموني

من الخرفان ابنوا لي الرصائف ومن راحات لقوا لي لفائف
وفوقي ضعوا الهرايس في صحائف وخطوا لي مخدة من قطائف

وفي سكر منعم رششوني

على ابن الكرم كم لي من نحيب ويرقناله نفحات طيب
فخصوا القبر منه في نصيب وردوا لي تراباً من زيب

وجوز ثم لوز العيد موني^(١)

وإن صدر البغاجا قد تعسر ففي الكلاج عوض إن تأخر
فلا تنسوا لمن أوصى وأخبر وصفوا لي قرايم روس سكر

وفي فرش الكرايج^(٢) ادهنوني

إذا حولتم للدفن نعشي وزادت خيفتي وكذلك وحشي
فاجتمعوا علي بغير طيش وهاتوا لي مؤذن ديك محشي

وفي تينات فاحل^(٣) لقنوني

ولا تبدوا خلافاً أو نزاعاً بما أوصيتكم وذروا الرقاعا
وحولي دعوا فضاء واتساعاً وابنوا القبر من فوقي ذراعاً

بمحشي القرع أو بيض الجنوني

وأنواع الشرابات انقلوها وقرب القبر أرجوكم ضعوها

(١) المونة: ما يُدخَّر من القوت.

(٢) الكرايج: حلواء من المعجونات المحشوة تؤكل مع الناطف.

(٣) تين فاحل: نوع من أنواع التين الجيد في سورية.

وحولي للفواكه انشروها وعلّوا لي المصائب وانشروها
بكعك ثم خبز يا عيوني
إلى التردات كان يهيج شوقي كذا الجقات كم تحلو لذوقي
إذا فاقضوا أحبابي لحقي وعلّوا قبة للقبوات فوقي
وفي قيمق سوادى كلّسوني
إذا تم المراد بلا انتقاص وأطلقت العوالم من قفاص
على روعي امنحوهم من نجاص وساووا لي خميساً من قراص
وفي قرطل صفيحه صافحوني
وأي مآكل قد نلتموها كذلك فواكه جمعتموها
اقصدوا قبيري وفيه اطمروها وأوصيكم وصية فاحفظوها
إذا جعتم تعالوا وانبشوني
وأرجو يا بحوراً للمعاني تغضوا الطرف عن قصر المباني
فهذا ما جرى فيه لساني وإن قلتى نسي شكل الفلاني
فهاتوه لعندي ذوقوني



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الناشر
٥	ترجمة الشيخ الشاعر مصطفى زين الدين الحمصي
٩	ترجمة صاحب المنظومات الهلالية
١١	صاحب المعارضات الزينية
١٥	صاحب المنظومات الهلالية
٢٥	المحاكمة (بين الهلالي وزين الدين)
٣٧	نهم الزيني
٤٦	خطبة الشيخ عمر العقاد، ومعارضتها للشيخ مصطفى زين الدين

المعارضات

٥٢	الفصل الأول: في القصائد:
٥٤	من قصيد للهلالي في مدح أمين أفندي الجندي
٥٨	من قصيد في مدح محمد بك البارودي
٦٠	من قصيد في تهنتة بزفاف سليم أفندي قصاب حسن
٦٢	من قصيد في مدح محمد باشا اليوسف، متصرف لواء حماه
٦٤	من قصيد في تهنتة بزفاف محمد وجيه أفندي كيلاني
٦٦	تغزل من بحر السلسلة
٦٦	من تهنتة عبد الجليل إبراهيم بك، من أعيان بغداد بمولود له
٧٠	من مدح سعد الدين بك، ابن محمد بك المؤيد العظم
٧٢	من مدح الوزير سعادتلو علي حقي باشا
٧٤	من مدح العلامة خالد أفندي الأتاسي، حين قدم إلى حماه

- ٧٦ من تهنته بقدوم والي سورية، أحمد جودت باشا إلى حماه
- ٧٨ من مدح محمد بك البارودي، حين قدم إلى حماه
- ٨٠ من مدح حسن أفندي بن طاهر أفندي الكيلاني
- ٨٢ من مدح سعادتلو أحمد باشا الشمعة
- ٨٦ من مدح صاحب السعادة درويبي زاده عبد الحميد باشا
- ٨٨ من مدح الشهم محمد آغا الأظن
- ٩٠ من مدح صاحب الفضيلة عبد الله أفندي
- ٩٢ من مدح جندي زاده محمد أفندي وتهنته بزفاف نجله
- ٩٦ من مدح محمد باشا اليوسف، متصرف لواء حماه
- ٩٨ تهنته بزفاف
- ١٠٠ تهنته برتبة ثانية لمحمد سليم الشهابي
- ١٠٢ من مدح محمد علي أفندي محسن، مدعي عموم لواء حماه
- ١٠٤ من مدح أمير مكة المكرمة الشريف عون
- ١١٢ الفصل الثاني: في القدود والموشحات:
- ١٢٤ ماني قربانك ماني
- ١٢٦ أمان يا يما على دروبيا
- ١٢٨ الله الله يا ابنية
- ١٣٢ يا لابس الأبيض على التفاحي
- ١٤٠ شمس الحسن
- ١٤٤ قم شرف منزلك يا مغربي
- الفصل الثالث: فيما عارضه المرحوم زين الدين من المنظومات لغير الهلالي رحمهما الله:
- ١٥٢ معارضة الزيني للمرحوم الشيخ أمين الجندي
الرشاء:
- ١٦٠ قصيدة الشاعر عبد الهادي أفندي الوفاي
- ١٦٢ مرثية لأحد الأدباء
- ١٦٤ وصية أحدهم قبل موته

